364

HARLEQUIN

روايات أحلام

أبعد من الحلم

هيلين بروكس

www.elromancia.com

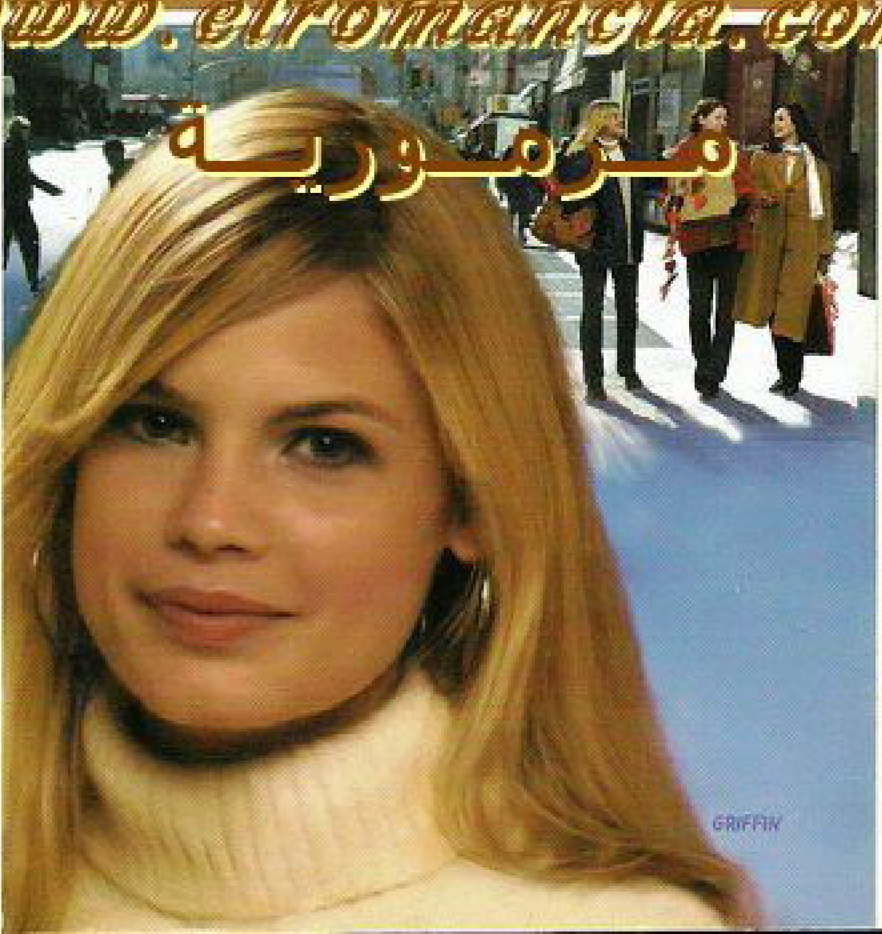

أبعد من الحلم

كان أندريس يملك كل ما يمكن أن يشتريه المال. ما عدا زوجة! حتى وقعت عيناه على صوفي. شقيقة زوجة أخيه...

لكن صوفي كانت في غاية النقمة على هذا الرجل وقالت له رأيها به بصراحة: "أنت رجل متعصب. سيد كاريديس. أنت أحد أولئك الرجال الذين يخافون من كل امرأة ذات عقل مستقل لا تخاف من استعماله. أنت ممن يفضلون أن تبقى النساء دوماً حوامل حافيات الأقدام. وإذا لم يكن كذلك فعليهن أن يتساقطن فوق أذرعكم القوية مظهرات ضعفهن" رد ساخراً: "لا. يا صوفي. أنا أفضل أن تنتظر المرأة حتى يطلب الرجل منها ذلك".

وقررت صوفي أن أندريس لن يحصل عليها مهما حاول. ولن تكون يوماً اسماً على لائحة القلوب التي حطمها!

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-18-318-3

هيلين بروكس

تعيش هيلين بروكس في (نورثامبتون شير) وهي متزوجة وأم لثلاثة أولاد. أوقات فراغها نادرة جداً، فهي متدينة ملتزمة وربة منزل منهمكة وأم مثالية. لكن هواياتها تشمل القراءة والسباحة والاهتمام بالحديقة والسير مع كلابها الصغيرة النشيطة التي تحبها كثيراً. حققت حلمها بالكتابة في سن الأربعين، وأرسلت أول إنتاج لها إلى (ميلز أند بونز).

١ ـ امرأة بالمرصاد

ـ أتفكرين حقاً في السفر إلى اليونان، يا جيل؟ لا يمكنك ذلك. إنت لست مدينة لأسرة ثيودور بأي شيء. ميشيل في السابعة من عمره الآن وهم لم يعترفوا حتى بوجوده في هذه الحياة.

قالت صوفي هذا تحاول أن تبدو هادئة وهي تنظر إلى الفتاة النحيفة، الصغيرة الحجم الجالسة أمامها، فأجابت جيل بتعقل: «إنهم لم يعرفوا بوجوده إلا بعد سنتين من مولده».

ـ وعندما عرفوا، كان عليهم أن يتصلوا بك بأي شكل من الأشكال.. بريدياً، هاتفياً، أو عن أي طريق كانت.

ـ حسب قول كريستوز، لقد فعلوا ذلك، لكنهم لم يتلقوا جواباً قط على أي من رسائلهم.

ـ وأنت صدقت ذلك؟

بدت نبرة صوتها مليئة بالاحتقار، بينما عيناها البنفسجيتان تعبران عن رأيها في أسرة زوج جيل.

ـ هذا محتمل، يا صوفي.

حدّقت جيل إلى شقيقتها التوأم بتعاسة، وقد بدت عيناها البنفسجيتان مظلمتين حزينتين ووجهها شديد الشحوب، وتابعت تقول: «كان ثيودور شديد الاعتداد بنفسه كما تعلمين. قال إنه لن يسامحهم أبداً، وكان يعني ذلك. وإذا ما قرر شيئاً، فهو لا يعرف الصفح».

www.elromancia.com

- ولكن كان بإمكانه أن يحدثك عن الأمر. يخبرك، على الأقل، أنه تلقى بعض المراسلات.

تشاغلت جيل بطي ملابس مغسولة، وهي تقول: «لا. ليس بالضرورة، خصوصاً بعد أن قرر قطع أي علاقة معهم، وكان يعني ما يقول. ما كان ليسمح لي حتى بالتحدث عنهم، إذا شئت أن تعلمي الحقيقة».

حدّقت صوفي إلى أختها وهي تتذكر كم كان زواج جيل سعيداً. لكن هذا لم يعد له صلة بالموضوع، على أي حال. ذلك أن ثيودور قُتل في حادث سير، عندما اصطدمت سيارته بشجرة أثناء عاصفة سيئة. ثم قالت برفق: «لكنهم لم يحضروا جنازته».

- قال لهم كريستوز إن هذه وصية ثيودور.

وعندما نظرت صوفي إليها غير مصدقة، رفعت جيل رأسها الأشقر ونظرت إلى أختها مباشرة: «هذا صحيح، يا صوفي. احتفظ ثيودور بعدد من الرسائل في خزانة كريستوز منذ سنوات، ولم أعلم أنا عنها شيئاً إلا بعد موت ثيودور. يومها فكر كريستوز بأن عليّ أن أراها قبل أن يرسلها إلى اليونان. أظنه كان يعرف محتواها».

- رسائل؟ رسائل إلى من بالضبط؟

ونظرت إلى أختها المتشاغلة بطي الغسيل فأجابت هذه الأخيرة: «إلى أهله، في حالة موته أو مرضه. وطبعاً، لم يكن يتوقع أن يحدث ذلك الأمر بتلك السرعة أو ذلك الشكل المفاجىء...».

وسكتت جيل فجأة. وتنفست بعمق قبل أن تتابع: «على أي حال، قررنا أنا وكريستوز أن نفتح تلك الرسائل ونقرأها قبل أن نرسلها إليهم، وذلك بعد الحادث بيوم واحد. ثم... ثم أحرقناها. لكن كريستوز اتصل بالأسرة هاتفياً ليخبرهم بأن ثيودور ترك تعليمات بألا يحضروا جنازته».

سكتت جيل، وأراحت رأسها على سلة الغسيل قبل أن تنفجر باكية. فاندفعت صوفي إليها تحيطها بذراعيها، وهي تقول بسرعة: «آه، ما هذا يا حبيبتي؟ هيا. كل شيء سيصبح على ما يرام».

رفعت جيل عينيها الدامعتين: «كانت الرسائل فظيعة، يا صوفي. ومليئة بالمرارة والقسوة والبرودة. فلم... لم أرسلها لأمه ولا لأي منهم. فكّري في ما كانوا سيشعرون به خصوصاً بعدما حدث له. وهكذا... وهكذا أحرقتها... أحرقتها كلها. أتظنينني أخطأت في ذلك؟».

وأخذت منديلاً مسحت به دموعها، ثم رفعت عينيها الحزينتين إلى وجه أختها، فحدقت هذه إليها بعينين تشعّان حباً: «طبعاً. وما نفع الاحتفاظ بكل تلك الآلام؟ وجع القلب لا ينتج إلا وجع القلب».

- هذا ما فكرت به أيضاً. قال كريستوز إن القرار يعود إليّ وحدي، وعندما أخبرته برأيي قال إنه يوافقني على ذلك. لكن تلك المسألة أصبحت حملاً ثقيلاً على كتفيّ منذ ذلك الحين. فقد أعطى ثيودور تلك الرسائل لكريستوز معتقداً أن الرجل سينفذ ما يريد... لكنني... أحرقتها. لو علم بذلك لما سامحني أبداً.

كشرت صوفي وقد بدا لها أن زوج جيل بالغ جداً بالحقد وعدم الصفح. لطالما كانت متحفظة بالنسبة إلى ثيودور، فهما لم ينسجما قط. أدركت جيل شعورها هذا منذ عرّفتهما إلى بعضهما البعض، لهذا أصبحت حذرة عندما تتحدث عنه أمامها. وهكذا اتسعت الهوة بين الشقيقتين، رغم أن أياً منهما لم تعترف بذلك.

غدت المشكلة أسوأ، بعد مرور ثلاثة أشهر على تعارف جيل وثيودور، وذلك عندما حصلت صوفي على وظيفة رائعة، فانتقلت إلى لندن لتتدرب على عمل وكيلة مشتريات في واحدة من أكبر شركات الأزياء.

وهكذا، تركت كمبردج وهي مسقط رأسها، بعد أيام فقط من زواج

شقيقتها من ثيودور. ومنذ ذلك الحين، افترقت حياتي التوأمين في اتجاهين مختلفين تماماً. فراحت جيل تعتني بأسرتها وتساعد زوجها في عمله الناجح في إدارة المطعم الذي يشاركه كريستوز، بينما تبعت صوفي أحلامها، حيث ارتقت إلى وظيفتها الحالية في شركة الأزياء تلك.

لطالما اعتقدت صوفي أن ثيودور تعمّد أن يجعل أختها حاملاً، وهو يعلم بأن جيل لا تستطيع أن تتعاطى حبوب منع الحمل، فهذه الحبوب لا تناسب صحتها. لكنها كانت من الحكمة بحيث احتفظت لنفسها بهذا الرأي. ومع مرور السنوات، رأت أختها تتحوّل من مخلوقة سعيدة متألقة إلى مجرد ظل لجيل القديمة... بدت هادئة، منطوية على نفسها وتحت سيطرة زوجها دوماً. لكن جيل لم تكن تشكو قط، وعندما تحاول صوفي الاطمئنان إلى أن كل شيء يسير على ما يرام كانت تغير الموضوع. وهكذا اضطرت إلى أن تترك مسألة زواج جيل، وتحترم عزلة أختها.

عادت صوفي بانتباهها إلى الرسالة الموضوعة إلى جانب سلة الغسيل، والتي جعلتهما يبدآن هذا الحديث: «إذن، أنت تودين أن تذهبي لتتعرفي إلى أسرة ثيودور».

- لفترة قصيرة فقط. لكي يتعرفوا إلى ميشيل، والأهم من ذلك، لكي يراهم ميشيل ويتعرف إلى جديه الوحيدين.

كان والد الفتاتين قد هجر المنزل بعد ولادتهما مباشرة كما أن أمهما ماتت منذ سنوات. وسألتها صوفي برقّة: «وبعد ذلك؟».

فأجابت جيل بهدوء: «بعد ذلك نعود ونتابع حياتنا كالمعتاد. يمكنني أن أساعد كريستوز في العمل، ويتابع ميشيل الذهاب إلى مدرسته حيث كل أصدقائه. إنني لا أفكر أبداً في البقاء هناك، يا صوفي، إذا كان هذا ما تخافين منه».

لم تكن صوفي تعرف ما الذي تخاف منه بالضبط، إلا إذا كانت الأسرة

تشبه ثيودور. فقد يقنعون أختها بأن الأسود أبيض، ولطالما كانت أختها مطيعة سهلة الانقياد، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها.

- اسمعي. إذا كنت قلقة من فكرة ذهابي وحدي مع ميشيل، لِمَ لا تأتين معنا؟ والد ثيودور سوف يتكفل بنفقات السفر لأجلي ولأجل ميشيل ولأجل صديق معنا... هذا اقتراحه هو، يا صوفي. كتب إليّ يقول إنني قد أشعر براحة أكبر إذا ذهبت مع صديق. وأنا أفضّل أن تأتي أنت معنا، لكنني خشيت أن تكوني مشغولة. أنا أعلم أنك أمضيت الأسابيع الأخيرة بين لندن وباريس، ولم أشأ أن أزيدك إرهاقاً.

- انتهى كل ذلك الآن، والأسابيع القادمة ستكون أقرب إلى الرتابة. هذا إلى أن لي إجازة منذ السنة الماضية، بالإضافة إلى إجازتي الحالية. متى تفكرين بالسفر؟

- في أي وقت يناسبك. أتظنين إذن أن بإمكانك القدوم معي؟ آه يا صوفي، ذلك سيجعل الأمر مختلفاً.

جيل بحاجة إليها. أما المهنة، والتزامات العمل وأي شيء آخر فتأتي كلها في المقام الثاني من الأهمية.

بدا مطار اليونان شبيهاً بغيره من المطارات بازدحامه وجلبته وفوضاه. لكن الرحلة كانت مريحة، وثرثرة ميشيل المتحمسة شغلت المرأتين عن اجتماعهما القادم بأسرة ثيودور الغريبة الأطوار. كانت صوفي تتحقق من وجود أمتعتهما كاملة. عندما أمسكت جيل بذراعها هامسة: «صوفي، هذا أندريس، شقيق ثيودور. لا بد أنه هو، أنظري كيف ينظر إلينا».

استدارت صوفي لتنظر ويدها على ميشيل الذي كان يقفز كالعفريت، وإذا بها تتسمّر في مكانها عندما التقت عيناها بعينيه السوداوين النفاذتين، اللتين راحتا تنظران إليهم وهما شبه مغمضتين.

لم يكن ثمة وقت للتكهن، لأن الرجل راح يتقدم نحوهم، شاقاً طريقه

بين الجموع بقامته الجبارة الرشيقة، وكأن تلك الجموع غير موجودة.

- السيدة كاريديس؟ جيل كاريديس؟

بدا صوته عميقاً، وقوراً، واضح اللكنة. وتنقلت عيناه السوداوان بين المرأتين التوأمين.. عينان تتوهجان في وجه وسيم هادىء. وللحظة، بدا وكأن جيل أصبحت في عالم النسيان. واضطرت صوفي للقول، مشيرة إلى المرأة الشاحبة الصامتة بجانبها: «هذه جيل، وهذا ميشيل طبعاً. مرحباً يا سيد...».

- ناديني أندريس، أرجوك.

ما إن قال هذا حتى انتقلت عيناه إلى جيل التي كانت متشبثة بذراع أختها، وكأن حياتها متعلقة بتلك الذراع، وما زالت تبدو غير قادرة على الكلام. وعندما مدّ لها يده ليصافحها، بدا وكأن الحياة دبّت فيها، ما جعل صوفي تتنفس الصعداء، قائلة: «مرحبا، يا أندريس. شكراً لحضورك لاستقبالنا».

فقال شقيق ثيودور ببرودة: «هذا من دواعي سروري».

تفهمت صوفي تماماً ذهول جيل لأنها كانت هي نفسها كذلك، فهذا الرجل لا يشبه ثيودور أبداً. فقد كان ثيودور أطول من جيل بقليل فقط، وعيناه البنيتان تسران الناظر وكذلك شعره البني الفاتح اللون، أما جسمه فقويّ ممتلىء، إلا أنه لم يكن ملفتاً للنظر. أما شقيقه هذا فهو في غاية الوسامة، طوله ست أقدام على الأقل، ذو صدر قوي العضلات، ولم تكن عيناه بنيتين قاتمتين، كما ظنت في البداية، بل رصاصيتين قاتمتين مسيطرتين، أما شعره ففاحم السواد.

كان أندريس يشبه أخاه في شيء واحد فقط، وهو أن لا أثر فيه للرقة على الإطلاق، وكأن وجهه قُدّ من حجر الصوان. لكن صوفي ما لبثت أن تخلت عن رأيها هذا عندما نظر أندريس إلى وجه ميشيل الصغير متسائلاً، ثم

ترك يد زوجة أخيه وركع أمام ابن أخيه قائلاً برقة: «فريق مانشستر؟».

وأشار برفق إلى قميصه الذين هو هدية من صوفي في عيد ميلاده الأخير، وقال: «ما رأيك أن نلعب شوطاً معاً؟ هل تحب ذلك يا ميشيل؟».

فأجاب ميشيل متحمساً: «نعم».

ثم أضاف بهدوء: «أنت شقيق أبي، أليس كذلك؟».

فأجاب أندريس دون أن تتغير ملامحه: «نعم، يا ميشيل. أنا شقيق أبيك أي عمك. هذا حسن، أليس كذلك؟ وهذا يعني أننا صديقان».

حدّق الطفل في وجه عمه يتفحصه بعينيه البنيتين الشبيهتين بعيني أبيه. وعندما وصل إلى قرار واضح، أشرق وجهه بالابتسام وأومأ موافقاً.

راح أندريس يشعث شعر ميشيل بيده، وشعرت صوفي بالارتياح. فقد بدا هذا الرجل الكبير الحجم، الفيّاض الرجولة، متبطاً للهمة نوعاً ما، قبل أن يتحدث إلى ميشيل.

ثم أخذ ينظر إليها مباشرة، وقد تحولت عيناه إلى ما يقرب السواد. جاء صوته رقيقاً خالياً من أي تعبير وهو يقول: «ولا بد أن هذه صوفي، أليس كذلك؟ رسالة جيل لم تنبهنا إلى أن هناك نسخة أخرى منها. كل ما قاله هو إن أختها ستأتي معها».

تصلّب جسد صوفي على الفور. فعلى الرغم من أنها هي وأختها مخلصتان لبعضهما البعض منذ الطفولة، لكن كلاً منهما كانت تكافح دوماً كي يميز الآخرون إحداهما عن الأخرى، مدركتين أن تشابههما هو نعمة ممزوجة بنقمة. إذ يفترض البعض على الفور أن تشابههما جسمانياً يدل على أنهما متشابهتان في التفكير والطباع بينما هما، في الواقع، مختلفتان تماماً. بل متضادتان تقريباً.

- سررت بالتعرف إليك، يا أندريس. أنا وجيل توأمان لا شك بأنك

www.elromancia.com

لاحظت ذلك.

قالت صوفي ذلك بأدب، مرغمة نفسها على الابتسام ببرودة. أومأ أندريس وهو يشملها بنظراته وكأنه يحاول قراءة أفكارها. وقال: «سررت بالتعرف إليك، يا صوفي».

قال هذا بهدوء، ثم عاد يلتفت إلى جيل بسرعة، ما جعل صوفي تشعر وكأنه نبذها. طرفت بعينيها، وساورها شعور بالكراهية وهي تحدّق إلى جانب وجهه البارد. وإذا به يقول: «السيارة تنتظر في الخارج إذا كنتما مستعدتين. كما أن والديّ مشوقان للترحيب بكما في بيتهما. هل نذهب؟».

فقالت جيل بسرعة: «طبعاً، وشكراً».

أشار أندريس إلى حمّال ثم أخذ يتحدث إليه باليونانية، أما جيل فبدت ذاهلة ومبهورة بما حولها. نظرت صوفي إلى أختها، ورأتها تسوّي ثوبها الحريري بأصابع متوترة، فقطّبت جبينها. يجب أن تبدو جيل مرتاحة وهي تتعرف إلى أسرة زوجها، فمن حسن حظهم أنها كلّفت نفسها عناء المجيء والتعرف إليهم. ولا داعي على الإطلاق إلى أن يتصرف هذا الرجل وكأن الأسرة تتفضّل بذلك على جيل.

نظرت إلى وجه أختها المحاط بشعرها الأشقر الذي ينسدل على كتفيها، ولاحظت التوتر الذي يكسوه، فازدادت كراهيتها لأندريس كاريديس عمقاً. ردّت شعرها إلى الخلف، وهو أقصر من شعر جيل ويحيط بوجهها كإطار يصل إلى ذقنها، بينما توتر فمها الناعم الممتلىء. وفكرت بأسرة كاريديس، أتراهم يظنون أنفسهم من الأسرة المالكة؟ ثم تنبهت إلى ضرورة أن تتمالك طبعها السريع الاهتياج. إنها لا تعرف ما الذي يفكر فيه أندريس، ربما تكون مخطئة في نظرتها إليه. قد يكون سلوكه الجاف نحوها ونحو جيل من طبيعته. أخبرتها جيل مرّة بأن خلاف ثيودور مع أسرته بدأ

قبل أن يتعرف إليها بمدة طويلة، ولكن اختيار ثيودور لزوجة إنكليزية، كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير. وعندما سألت صوفي أختها عن سبب شجار ثيودور مع أهله وأقاربه وأصدقائه بهذه المرارة والعنف، وهجرهم إلى إنكلترا، بدا الغموض على وجه جيل وغيرت الموضوع. لكن أختها اعترفت، بعد سنتين أو ثلاث، بأن ثيودور رفض أن يحدث زوجته عن ماضيه، ولهذا لم يكن لديها فكرة عن سبب الخلاف. حتى كريستوز، صديقه وشريكه، لم يكن يعلم شيئاً.

كان الأمر كله مغلفاً بالغموض وصوفي لم تحب الغموض قط، بل ترغب بأن يكون كل شيء واضحاً ومستقيماً بالنسبة إليها.

انتبهت من تأملاتها عندما استدار أندريس وأمسك بذراع جيل، قائلاً بأدب: «هل نذهب؟».

وشملت نظرته صوفي وميشيل قبل أن يتحرك للسير وجيل بجانبه.

ابتسمت صوفي بجفاء آملة ألا تكون قد أظهرت انتفاض حواسها عند التقاء عينيها بعينيه الثاقبتين. كانت القوة والسلطة تشعان من الرجل بشكل قاهر ما جعلها تشعر بعدم الارتياح.

عندما خرجوا من المطار لفحتهم حرارة شمس حزيران، والتفت حولهم كدثار ساخن، فقال ميشيل مرتاعاً: «أوووه... الجوّ حار تماماً».

هتافه هذا جعل عمه يلتفت إليه باسماً: «إنكلترا ليست حارة الجوّ إلى هذا الحد، أليس كذلك؟ لكن الطقس الحار سيجعلك تمضي أوقاتك في السباحة في بركة السباحة لدى جدّيك، كسمكة صغيرة، أليس كذلك؟».

فهتف ميشيل وقد تألقت عيناه: «بركة سباحة؟ هل لديهم بركة سباحة خاصة بهم؟».

أومأ أندريس بالإيجاب، لكنه قال يحذره بهدوء: «ولكن البركة عميقة في إحدى جهاتها، ولهذا عليك أن لا تغامر بالسباحة إلا إذ كان معك

شخص كبير، يا ميشيل. هذه القاعدة تنطبق على كل الأولاد الذين يزورون منزل والديّ. مفهوم؟».

فسأله ميشيل: «من هم الأولاد الآخرون؟».

- أقارب وأصدقاء الأسرة، لا تخف، يا صغيري، ستتعرف إليهم جميعاً.

كان أندريس يتكلم وهو يقودهم إلى موقف سيارته، وعندما وصل إلى سيارة الليموزين الذي يقف بقربها سائق خاص، كادت عينا ميشيل تبرزان من محجريهما وهو يهتف مبهوراً: «هل هذه سيارتك؟ سيارتك الخاصة؟».

ابتسم أندريس لحماسته: «نعم. هل أعجبتك؟».

كانت صوفي تتابع هذا الحديث بينهما بما يشبه الحيرة. وعندما نظرت إلى أختها رأت في عينيها التعبير نفسه. الصبي الصغير لا يشعر بذرة من الرهبة من عمه الرزين القوي!

وقال ميشيل: «إنها رائعة، وأنا أحب هذا اللون».

ثم سار حول السيارة يتحسسها بأصابعه.

- وأنا أيضاً أحبه.

وضحك أندريس للصبي، أما الشقيقتان فتبادلتا نظرة ذات معنى، وقد قرأت كل منهما أفكار الأخرى كعادتهما؛ يبدو أن العم وابن أخيه أصبحا صديقين.

بعد أن وضع السائق الأمتعة في صندوق السيارة، ناداه أندريس بصوت هادىء ثم قال: «هذا بول، سائقي وصديقي».

ابتسم السائق الصغير الحجم فظهرت أسنانه التي يشوبها بعض السواد، وتابع أندريس يقول: «وهذه السيدة كاريديس، يا بول، وابن أخي ميشيل. وهذه هي الآنسة صوفي...».

فسارعت صوفي تقول وهي تبتسم للسائق بعذوبة: «صوفي فيرن. السيدة صوفي فيرن».

بدت كلمة «سيدة» بمثابة نصر صغير لها، فقد شعرت بالسرور لأنها جعلت شقيق ثيودور يبدو مخطئاً، حتى ولو بهذا الشكل التافه. أجفل أندريس لحظة أو اثنين، ثم عاد فتمالك نفسه وملامحه الصلبة تخفي أفكاره، وقال بهدوء: «المعذرة، يا صوفي. لم أكن أعلم أنك متزوجة. ولكن، طبعاً، ما كان لي أن أفترض».

اشتبكت أعينهما لحظة، وكأنها تقول: لا، ما كان لك ذلك. ثم ابتسمت بهدوء وقالت بصوت مهذب غير مكترث: «لا بأس، يا أندريس. في الواقع، أنا أرملة».

عاد يحدق بها من جديد، فأدركت أنها أدهشته مرة أخرى، ثم قال: «آسف».

انتبهت صوفي إلى أن ميشيل راح يتململ بجانبها، فأدركت أنه يتعجل ركوب السيارة. وهكذا أبقت التفسير مختصراً، وهزت كتفيها قائلة: «مات زوجي منذ ثلاث سنوات».

أومأ أندريس وقد اشتبكت عيناه المسيطرتان بعينيها للحظة قبل أن يفتح باب الليموزين ويساعدهم على الدخول، وذلك بشكل رسمي للغاية. وأثناء ذلك لامست يده ذراعها، فكان للمسته الدافئة فوق كم بلوزتها الرقيق تأثيراً مثيراً. ولم تدرك صوفي كنه هذا الشعور الذي أحسّت به. بعدئذ، ملأت هتافات ميشيل المتحمسة الجوّ ما سهّل تجاوز كل لحظ صعبة. وسرعان ما كان بول ينطلق بالسيارة في طريقه إلى المنزل. وبعد عدة دقائق، سألهما أندريس بأدب: «هل سبق لكما أن زرتما شمال اليونان؟».

فأجابت جيل بسرعة: «أنا لم أذهب إلى أي مكان، باستثناء إجازة أمضيتها مع التلاميذ في فرنسا، عندما كنت في الجامعة. لكن صوفي تسافر

دوماً في رحلات عملها. إنها معتادة على الأسفار».

فسأل صوفي: «أحقا؟».

أجابت صوفي بهدوء: «أنا وكيلة دار أزياء، ولهذا أتردد دوماً على باريس، كما سافرت مرة إلى ميلان ونيويورك. لكنني أجلس إلى مكتبي معظم الوقت وأمامي أكوام من الأوراق».

– وكيلة دار أزياء! أنت إذن امرأة طموح، يا صوفي.

خيّل إلى صوفي أن نبرة غريبة، خالطت صوته، مع أن تعليقه بدا معقولاً تماماً. ما كان ليهمها لو أبدى أي شخص آخر مثل هذا التعليق، ولكن أن يأتي ذلك من أندريس كاريديس.. فقد لمس هذا منها وتراً حساساً. فقالت ببرودة: «أنا امرأة أعمل في أكثر المهن جمالاً وإثارة، وقد حققت نجاحي بجهد بالغ وأنا أستمتع بعملي كثيراً. كما أن الملابس المصممة خصيصاً لشخص معيّن لا تهمني، فأنا لا أحب التعامل مع الطبقة الثرية».

شعرت بجيل تتململ بعدم ارتياح، ولكن شقيق ثيودور بقي هادئاً. تركزت نظرات عينيه على عينيها لحظة، قبل أن يومىء بعدم اكتراث ويتحوّل إلى جيل قائلاً: «قد أكون متحيّزاً، لكنني أعتبر هذا الجزء من اليونان أحد أجمل الأمكنة في العالم. «هاكليديكي» هي منطقة زراعية بمجملها، تغطيها غابات الصنوبر وكروم العنب، حيث يبدو وكأن الزمن قد توقف عندها. وفي أماكن كثيرة منها لم تتأثر حياة الناس بدخول القرن الحادي والعشرين. هنا تمتد الأراضي الغنية بالمساحات الفسيحة الخضراء وهناك الكثير من الشواطىء الذهبية. من المؤسف أنكما لم تأتيا في الربيع والحقول مغطاة بالأزهار، رغم أنها تبقى جميلة في الصيف أيضاً».

بعد مرور عدة دقائق من الصمت، سأله جيل: «هل عشت هنا طوال حياتك؟».

أومأ أندريس، ثم تحولت عيناه الثاقبتان إلى صوفي وهو يقول ساخراً:

«أنا كأختك، أسافر قليلاً. أبي يملك بساتين من الزيتون والليمون والبرتقال، لكن اهتمامه الرئيسي منحصر في الشحن البحري. والآن بعد أن كبر في السن، ترك معظم عمل الأسرة لي، وهذا يناسبنا نحن الإثنين».

أومأت جيل ولم تعلّق على كلامه، لكن مئات من الأسئلة راحت تضج في رأس صوفي، أسئلة ليس بإمكانها أن تلقيها عليه. هل أسرة ثيودور غنية حقاً كما يبدو من هذه السيارة ومن حديث أندريس؟ وهل كان ثيودور الأخ الأكبر أم الأصغر؟ وهل هناك المزيد من الأخوة، ذكوراً وأناثاً؟ وما الذي جعل ثيودور يهجر هذا الجزء الرائع من العالم ويبدأ حياة جديدة في إنكلترا؟ أسئلة راحت تتتابع في ذهنها، لكنها أرغمت نفسها على النظر من نافذة السيارة، وكأنها لا تشعر بذلك الرجل الأسمر الكبير الحجم الجالس أمامها وبجانبه ميشيل يثرثر.

اندفعت بهم السيارة على طريق فسيح يمتد بين صفوف من أشجار السرو. فمرّوا بقرية صغيرة، بدت غافية في حرارة شمس الظهيرة.

بعد قليل تجاوزت السيارة القرية، متخذة طريقاً متعرجاً حيث كانوا يرون، من وقت لآخر، بيتاً من الحجر بين بساتين الليمون والتين والزيتون. سأل ميشيل عمه مشيراً إلى نسوة يعملن في الحقول، وينتعلن جزمات تصل إلى الركبة وقبعات من القش: «لماذا ترتدي أولئك النسوة جزمات طويلة من الجلد. ألا يشعرن بالحرارة؟».

فأجابه عمه برزانة: «إنها تحميهن من لسع الحيّات، فليس من الحكمة العمل في الحقل من دونها. هذه هي اليونان، يا صغيري، وهي تختلف جداً عن إنكلترا».

وهو أيضاً مختلف جداً. كان اهتمام أندريس منصباً على ابن أخيه، ما منح صوفي فرصة ملاحظته خلسة. وراهنت في سرّها على أنه بخطورة الحية. كم يبلغ من العمر يا ترى؟ نظرت إلى ملامحه الوسيمة العنيدة وإلى شفتيه

الحازمتين وأنفه المستقيم وحاجبيه الأسودين. وفكرت أنه قد يكون في أي عمر بين العشرين والأربعين، فوجهه من ذلك النوع الذي لا تغيّره السنون.

ثم انتبهت صوفي إلى أن أندريس قد انتهى من الحديث مع ميشيل، وأخذ ينظر إليها بعينين أشبه بالحجر المصقول، بينما ارتفع حاجباه بتساؤل ساخر. علا الاحمرار وجهها وأدارت رأسها وأخذت تنظر من النافذة، بينما راح قلبها يخفق وكأنه سينفجر. وفكرت في أنه حتى لو بدا مختلفاً، لا بد أنه في داخله يحمل صفات أسرة كاريديس مئة بالمئة. وهي صفات تتميز بالغطرسة، والبرودة، والتسلّط، والغرور، والعناد. لم تفهم قط يوماً ما الذي جذب أختها إلى ثيودور، وكيف بقيت زوجة له كل تلك السنوات، رغم أن وجود ميشيل يجعل الخيار معدوماً أمامها. وعلى كل حال، ما كانت هي لتبقى معه أسبوعاً أو يوماً. . . أو حتى ساعة. إنها واثقة من أن جيل لم تدرك أنها بدأت تنتعش قليلاً، وتعود إلى شخصيتها القديمة التي كانت سيطرة زوجها قد طمستها.

ربما هذا بالضبط ما كان يلزمها. . . إجازة سارة لأختها جيل وابنها ميشيل للتعرف إلى أسرة زوجها تأسيس علاقة طويلة للمستقبل. إلا أن صوفي لم تكن واثقة من دوافع أسرة كاريديس. ولكن مهما كانت هذه الدوافع، لا سبيل لأن تسمح بأن تقع أختها تحت سيطرة دكتاتور مستبد آخر، سواء كان ذلك الدكتاتور والدا ثيودور أم أخاه، أم الأسرة بأكملها.

انتصبت في جلستها، ورفعت رأسها وكأنها تستعد لمعركة. ستبقي عينيها وأذنيها مفتوحة طوال مدة وجودها هنا. فلطالما كانت أفضل من جيل في التقاط ما يدور في الكواليس. شعرت صوفي بالسرور لأنها اتخذت قرارها بالقدوم مع جيل إلى هنا.

ربما تجد أسرة كاريديس أن جيل ليّنة، وساذجة نوعاً ما، ويمكنها

التكيف مع كل الأوضاع حتى لو كانت سيئة. لكنهم سيكتشفون أن شقيقتها مختلفة عنها تماماً إذا هم حاولوا شيئاً.

www.elromance.com

٢ ـ لقاء وجفاء

مرّت نصف ساعة أخرى قبل أن يعلن أندريس أنهم اقتربوا من بيت والديه. كانت الرحلة عبر الريف اليوناني رائعة، حيث السماء الزرقاء تمتد فوق قرى جميلة وبساتين زيتون لا تحصى. وقبب أبراج الكنائس المذهبة تتوهج تحت أشعة الشمس. بدا المكان محيطاً مثالياً لبيت أبيض صغير مربع الشكل يعلوه قرميد أحمر. وتمنت صوفي لو أن الرحلة تطول لولا أن أمراً واحداً أزعجها، وهو. . . قرب أندريس منها داخل السيارة. منذ فاجأها وهي تنظر إليه، أصبحت حذرة جداً، متجنبة أن تتقابل عيونهما. لكنها كانت تشعر، دون أن تنظر إليه، بأن عينيه الرماديتين تحدقان بها بين الحين والآخر. وبدا ذلك مثيراً للأعصاب حقاً.

لم تعرف رجلاً من قبل، تنضح الرجولة منه، مثله. واستطاعت أن ترى بشرته البرونزية، من خلال قميصه المفتوح عند العنق، ما جعلها تشعر بالتوتر. زاد ذلك من ضيقها وكراهيتها لأنها اعتبرته نقطة ضعف لديها. وراحت تحدث نفسها وهي تشعر بالاستياء، بأنها لم يسبق لها أن أحبّت هذا النوع من الرجال الذين يشبهون رجال الكهوف. كان ماثيو قد جذبها بمظهره الأنيق؛ فقد كان شعره الأشقر كثاً وعيناه زرقاوين، إلى قامة نحيفة تكاد تكون صبيانية، مع ملامح تقليدية متناسبة. وكان رقيقاً لطيفاً لا يشكل أي تهديد، فشكّل بهذا، رجلها المثالي. ماثيو، مسكين عزيزي ماثيو! تعرفت صوفي إلى ماثيو في الجامعة فاستلطفته على الفور. كان حلو

المعشر، حاضر النكتة، دافىء العواطف. وعندما ألمّ به المرض لم يكن قد مضى على زواجهما سوى ثمانية أشهر فقط. ولم يمهله سرطان الكبد أكثر من شهرين مات بعدهما وتركها وحيدة منهارة.

تمكنت من اجتياز الأزمة بمساعدة أصدقائها وعملها، لكنها لم تسترجع الشعور بمتعة الحياة إلا بعد انقضاء عام كامل. ومنذ ذلك الحين لم تخرج مع رجل، رغم تلقيها عدة دعوات، فهي لا تؤمن بالعلاقات السطحية.

كانت ما تزال غارقة في تأملاتها عندما توقفت بهم السيارة أمام بوابة حديدية كبيرة.

- . . . خالتي صوفي؟

قطعت حبل ذكرياتها لتجد أن ميشيل كان يتحدث إليها منذ لحظات، إلا أنها لم تسمع كلمة فقالت: «آسفة، يا حبيبي. كنت غارقة في أحلام اليقظة. ماذا قلت؟».

لكن ميشيل كان الآن يتحدث إلى أمه. فقال أندريس بسرعة: «كان فقط يشير إلى أن البوابة انفتحت من تلقاء ذاتها، وذلك طبعاً بواسطة التحكّم من بعيد».

أومأت برأسها، مرغمة نفسها على مقابلة نظراته المتزنة دون أن تطرف عيناها. لاحظت أن لون عينيه الرمادي قد تحول إلى فضي تقريباً في أشعة الشمس الساطعة، كما برزت بوضوح أهدابه الكثيفة السوداء. مع أن اللون الرمادي، كان يبدو في المطار أسود تقريباً. وفكرت بجفاء في أنه حرباء بشرية، ولا شك أن طبيعته هي بغموض مظهره. بعض الرجال يحبون أن يحيطوا أنفسهم بجوّ من الغموض. وبعد أن اجتازت السيارة البوابة الحديدية لتمرّ بين جنائن رائعة قالت لكي تظهر له أنها لا تهابه: «ما أروع العيش في هذا المحيط الباهر الجمال. هل عاش والداك هنا دوماً؟».

فقال بلطف: «منذ اثنين وثلاثين عاماً. وأنا ولدت بعد انتقالهم إلى هنا بعام واحد».

إذن. فهو في الحادية والثلاثين من عمره، مع أنه يبدو أكبر سناً. ثم انتبهت إلى جيل تلمس ذراعها قائلة: «انظري يا صوفي إلى أشجار الموز».

راحت السيارة تسير بهم على طريق المنزل المتعرّج، المرصوف بالحصى، ببطء شديد. وعلى جانبي الطريق، انتشرت شلالات من الألوان الحية، وأكوام من الأزهار الغريبة المتألقة الألوان. كما تناثرت الشجيرات الصغيرة بين أشجار الزيتون، وبدت أوراق شجر الكراكاندا والموز وكأنها مطبوعة على زرقة السماء.

ثم انعطفت السيارة حول زاوية، فبدا أمامهم منزل مستطيل الشكل رائع الجمال. فبالإضافة إلى جمال جدرانه البيضاء وقرميده الأحمر، سيّجت شرفاته العديدة بدرابزين ملوّن، كما زينت الشرفة الكبيرة الملتفة حول المنزل بالنباتات المتعرشة المزهرة. وهتف ميشيل ببراءة الأطفال: «أوووه... هل جداي غنيان جداً يا عمي؟».

توهج وجه جيل بحمرة الخجل وقالت: «ميشيل! عليك أن لا تلقي مثل هذه الأسئلة، يا حبيبي».

نظر إليها ميشيل بدهشة: «لماذا لا؟».

ـ كي لا تبدو قليل التهذيب.

وفكرت صوفي بذهول في أن سؤاله سليم تماماً، سواء كان مهذباً أم لا. إنها ترى ملاعب التنس في شمال المنزل، كما أن أندريس تحدث عن بركة سباحة. لطالما كانت تظن ثيودور رجلاً ميسوراً، بدا ذلك واضحاً في المطعم الذي كان يملكه، كما في البيت الجميل الذي كان يعيش فيه مع جيل. ولكن ما تراه الآن... شيء آخر. لماذا لم يذكر ثيودور قط أنه من أسرة ثرية؟

ولا بد أن الأفكار نفسها راحت تراود جيل، لأنها التفتت إلى أندريس قائلة: «لم يحدثني ثيودور قط عن أسرته، يا أندريس، كما أظنك تكهنت. عليك أن تعذرنا لدهشتنا هذه».

تردد أندريس قليلاً، ثم أدهش المرأتين عندما مال قليلاً إلى الأمام وهو يقول بصوت منخفض: «أنا متفهم لذلك، يا جيل، لكنني أرجو أن لا تكشفي عن ذلك لأمي. أنا وأبي لا نتوقع شيئاً غير هذا. ولكن أمي... إنها تعيسة، كئيبة، مستوحشة من دونه، ولا فائدة من أن تعلم أنه لم يذكرها لزوجته وابنه. هل فهمت؟».

ـ نعم، نعم، طبعاً.

وحدقت جيل إليه وهو يستقيم في جلسته، ثم نظرت إلى صوفي. فهمت؟ إنها لم تفهم شيئاً من هذه الأسرة، كما أخذت صوفي تفكر ساخطة. لكنها مسرورة جداً لمجيئها مع جيل. إذا كان الوالدان كولديهما، من الأفضل أن تعود هي وجيل وميشيل إلى وطنهم في أول طائرة بدلاً من قضاء أسبوعين يستمتعون أثناءهما بالشمس. وعلى أي حال، لم يعد لديها وقت للتفكير بعد أن وقفت السيارة أمام سلم عريض نصف مستدير ذي درجات حجرية، يؤدي إلى المنزل. ومدّ أندريس يده يساعد المرأتين على النزول.

لفحتهم حرارة الجو مرة أخرى بعد جوّ السيارة المبرّد. وفيما كانت صوفي تنزل من السيارة لتقف بجانب أختها، أمضت لحظة قصيرة قريبة للغاية من أندريس، بحيث أحست بالقوة العضلية لذلك الجسم الكبير بجانبها، وتنشقت الرائحة الخفيفة المسكرة لعطر ما بعد الحلاقة الذي يضعه. ولم تستطع أن تصدق كيف تجاوب جسدها لهذا. ولحسن الحظ، انفتح الباب في تلك اللحظة، فاتجه الاهتمام إلى الزوجين الواقفين على العتبة.

www.elromance.com

قال أندريس برقة فائقة وهو يلمس كتف ميشيل: «هذان هما جداك، يا ميشيل. هل لك أن تأخذ أمك إليهما وتحييهما؟».

- صوفي.

واستدارت جيل إلى أختها بسرعة مادّة يدها إليها، فقالت صوفي بسرعة: «خذي ميشيل وعرفيهما عليه، يا جيل. أنا هنا فلا تقلقي».

وابتسمت لها مشجعة. وبعد لحظة من التردد، استدارت جيل وفعلت ما قالته لها صوفي، تاركة صوفي وأندريس معاً عند أسفل السلم.

لم يمرّ حديث الأختين السريع دون ملاحظة أندريس. وعندما أصبحت جيل وابنها خارج مرمى السمع، قال بلطف ودون أن ينظر إليها: «إذن ما قرأته في الكتب هو أمر صحيح. لطالما كنت أتساءل عن صحة ما كتب فيها».

- المعذرة؟

جاء صوتها بانخفاض صوته كما أن عينيها بقيتا على أختها وميشيل. حالما وصلت جيل وابنها إلى أعلى السلم، أخذهما والدا ثيودور بين أحضانهما. رفع جد ميشيل حفيده وضمه إلى صدره، بينما عانقت الجدة كنتها مرحبة، كما لاحظت صوفي بشيء من الارتياح. وقال أندريس ببرودة: «أعني التوأم المتسلّط والتوأم المستسلم».

بدا كلامه انتقاداً ضمنياً أكثر منه ملاحظة، وكأنه يوجهه إليها لغرض معيّن. أدركت صوفي ذلك على الفور، وكعادتها، هبّت تواجه التحدي: «من الخطر والسذاجة أن تصدق كل ما تقرأ، يا سيد كاريديس».

قالت هذا ببرودة الثلج، وعيناها تتحولان عن المشهد الذي يدور عند عتبة الباب، لتنظر بكراهية إلى الوجه الأسمر بجانبها: «ظننتك تعلم ذلك».

- إذن، فهذا غير صحيح!

ردّ عليها بهدوء، وشبح ابتسامة يتراءى حول فمه الصلب، مظهراً أنه يرى موقفها هذا مسلياً أكثر من أي شيء آخر. وفتحت صوفي فمها لترد بجواب آخر لاذع، لكن في هذا الوقت كانت جيل قد عادت تهبط السلم، وهي تهتف باسمها، وتستعجلها للصعود والتعرف إلى والدي ثيودور. فلم تجد صوفي إلا أن ترسم على وجهها ابتسامة متألقة، وتسير برفقة أختها لتحية العجوزين. . . ولكن لم يكن هناك نهاية لتحيات والدي ثيودور، على العكس من تحيات ابنهما الأصغر. وبعد دقائق، دخل الجميع الردهة المبلطة بالرخام، والتي بدت في غاية الإتساع.

بدا ايفانجيلوس، والد ثيودور، نسخة أكبر عن أندريس. لكن صوفي بذلت جهدها لكي ترى أثر شبه من ثيودور في هذا الرجل الطويل الوسيم الذي يقف أمامها، فلم تستطع. أما ديميترا، والدة ثيودور، فلم تكن كما توقعتها على الإطلاق. فهذه المرأة ذات العينين اللتين تشبهان عيني الظبي ما زالت رائعة الجمال، وبدت كأنها تكاد تطير فرحاً لرؤية حفيدها وكنتها، ولم تستطع أن ترفع عينيها عن ميشيل، فيما راحت تردد أكثر من مرة بصوت متهدج: «إنه يشبه ابني ثيودور عندما كان في مثل هذا العمر. هل تتذكر يا إيفانجيلوس؟ هل تتذكر شعره الجعد، وكم كان طفلاً جيلاً؟».

وتمسكت المرأة بذراع زوجها تستند إليه، وتبادل هذا الأخير نظرة مع ابنه من فوق رأس ديميترا الذي خطه الشيب. تقدم الإبن بعدها يقود أمه إلى غرفة الجلوس القريبة، يتبعهما والده مع البقية.

بعد أن جلس الجميع واستعادت ديميترا شتات نفسها، نظرت إلى الجميع، بمن فيهم صوفي، قائلة: «آسفة. لكنني لم أتوقع أن يكون ميشيل شبيهاً بأبيه إلى هذا الحد. هذا رائع طبعاً . . . ولكن. . .».

ثم سكتت المرأة وساد صمت غريب، قالت بعده صوفي بهدوء: «إن شبه ميشيل بأبيه يبدو اليوم نعمة ممزوجة بالحزن، لكن هذا أمر طبيعي في مثل

هذه الظروف، وسوف يخف الحزن مع مرور الزمن. قالت لي جيل لتوّها في الطائرة إنها تتوقع ما سيكون شعورك عند رؤية ميشيل، وهي تشاركك في شعورك هذا».

ألقت جيل على أختها نظرة شاكرة، ثم استلمت دورها، فتركت الأريكة التي كانت تجلس عليها مع أختها وابنها وركعت أمام حماتها، ثم أمسكت بيديها قائلة بحنان: «أحب أن نكون جميعاً أصدقاء وأن تتعرفوا جميعاً إلى ميشيل، يا دميترا. أنا أعرف أن هذا لن يمحو ألم فقدانك ابنك، ولكن ربما، مع مرور الزمن، يمكنك أن تشعري بأن جزءاً صغيراً من ثيودور ما زال معك، عندما ترينه في ميشيل».

- آه، يا عزيزتي...

أخذت الدموع تنهمر على خدّي دميترا، ومدّت ذراعيها إلى جيل التي عانقتها وهي ما زالت راكعة.

تنحنح أندريس قبل أن يقول لميشيل الذي بدا الآن صامتاً كئيباً: «ما رأيك في أن أريك الآن بركة السباحة؟ لا بد أنك ستحب ذلك. كما أن لدى جدك في المرآب شيئاً سوف يعجبك. هل جلست قط في سيارة لامبورغيني يا ميشيل؟».

صاح ميشيل وكأنه صار فوق القمر: «لامبورغيني؟ واحدة حقيقية؟».

فهمس أندريس بشكل مسرحي: «وكذلك هناك مرسيدس باللون الذي تحبه، ولكن لا تخبر جدّك بأنني أخبرتك. ما رأيك أن تأتي أنت وخالتك كي تتفرجا؟ يمكننا بعد ذلك أن نتناول شراباً بارداً بجانب البركة. ما رأيك؟».

تصلب جسم صوفي قليلاً. إبعاد ميشيل عن هذا الجوّ المثقل بالمشاعر هو فكرة حسنة، ولكن عندما التفتت إلى جيل أدركت أن أختها ليست واثقة على الإطلاق من قدرتها على البقاء وحدها مع والدي ثيودور، رغم

أن الأمور كانت تجري بشكل حسن. وفكرت أنها، على أي حال، موجودة هنا من أجل جيل. انتصبت في جلستها لتقول: «لا أظن...».

إلا أنها ما لبثت أن وجدت نفسها ترتفع عن الأريكة بيد حازمة قوية أمسكت بمرفقها: «هيا بنا، يا صوفي».

كان أندريس يبتسم وهو يقول ذلك برقة، لكن العينين الصوانيتين كانتا تقولان شيئاً آخر: «إينكا ستحضر المرطبات خلال دقائق، ومن الأفضل أن أخبرها بأننا نريد أن نأخذ حصتنا منها إلى جانب البركة، فالشمس جميلة في هذا الوقت من النهار».

حملقت فيه باحتجاج: «والآن، اسمع...».

وإذا به قد سحبها حتى أصبحت خارج الغرفة، وراح ميشيل يهرول خلفهما. ولم تعد صوفي إلى رشدها إلا بعد أن أغلق أندريس باب غرفة الاستقبال، ثم أشار إلى الفسحة العريضة قائلاً لابن أخيه إن الباب من هناك. عند ذلك تفجر غضبها: «دع يدي، في هذه اللحظة!».

جاء صوتها فحيحاً ناعماً، وأجاب أندريس على الفور بصوت منخفض كصوتها، وهما ينظران معاً إلى الصبي الذي راح يركض مجتازاً الردهة: «أختك ووالداي بحاجة إلى قضاء بعض الوقت معاً، ولا بد أنك ترين ذلك. إنه وقت صعب بالنسبة إليهم جميعاً».

. ما أراه هو أنك تعاملني بشدة وعنف، وأن جيل بقيت وحدها في هذا الوقت الصعب. هذا ما أراه. ثم من تظن نفسك على أي حال لتخبر كل شخص ما عليه أن يعمل؟

فأجاب بتأكيد ناعم: «أنا ابن والديّ».

زمجرت صوفي بالطريقة نفسها: «وأنا أخت جيل».

فقال وهو يشير بيده إلى ميشيل الذي كان الآن ينتظرهما في نهاية

الردهة: «ما الذي تخافين أن يفعلوه بها؟».

– ليس لديّ فكرة. أنا وأختي لا نعرفك أو نعرف أسرتك! كل ما نعلمه هو أنكم جميعاً اختلفتم مع ثيودور، لسبب ما، منذ سنوات ولم يحدث أي لقاء معه أو مع زوجته وابنه حتى الآن.

– لا يمكنك أن تلقي اللوم في ذلك على والدينا. لم تكن أمي لتتعزى حين رحل ثيودور عن اليونان، وكانت مستعدة لأن تقوم بأي شيء للمصالحة.

وراح يحملق فيها بقوة، ولم تلن ملامحه إلا عندما ناداهما ميشيل بفروغ صبر، فقال: «ولم يكن هناك خلاف بيننا كما تظنين. لقد غادر أخي اليونان لأنه يريد ذلك، وكان هو الذي نبذ أسرته من حياته».

فردت عليه بحدة: «جيل وميشيل هما أسرة ثيودور. ومما فهمته، زواجه من أختي كان آخر مسمار في نعشه. لكن دعني أخبرك بأنه كان محظوظاً بالحصول عليها، لأن جيل تساوي عشرة من نوع أية فتاة من الطبقة الراقية قد يكون والداه عرضاها عليه».

– والآن، إسمعيني...

– لا أريد أن أسمع شيئاً، يا سيد كاريديس. قد تبرئك جيل من كل ذنب لفقدان الأدلة الكافية، لكنني أخبرك هنا والآن، بأن أختي وميشيل هما كل ما يهمني. لست مضطرة إلى أن أحب أياً منكم، وأريد أن أتأكد من أن لا أحد سيستغل طبيعة جيل اللينة الطيبة. والآن أنت وعدت ميشيل بأن تريه السيارتين وبركة السباحة، ولهذا أظن أن علينا أن نحقق له ذلك.

وحلقت فيه، وعيناها ترسلان لهباً أزرق قبل أن تستدير لتواجه ميشيل وقد لانت ملامحها. وعندما سارت لتبتعد، شعرت بيده تقبض على معصمها مرة أخرى. فاستدارت بسرعة تواجهه، وهي تصرف بأسنانها: «المسني مرة أخرى، مرة واحدة فقط، فأنسى أن ميشيل واقف هناك ينظر

إلينا وأوقع بك قصاصاً كان عليك أن تتلقاه منذ سنوات».

الذهول الصارخ الذي بدا على وجهه كاد يجعلها تبتسم. لكنها كانت من الغضب بحيث لم تقدّر تماماً أن هذه قد تكون المرة الأولى التي يتلقى فيها أندريس كاريديس تعنيفاً قاسياً، ولمجرد زلة بسيطة ارتكبها نحو فتاة إنكليزية. وعندما سقطت يده عن ذراعها، استدارت واتجهت إلى ميشيل الذي كان ينتظر بلهفة وقلق، شاعرة بأندريس خلفها بالضبط. ثم ساروا جميعاً في ممرّ طويل بعد الردهة، وعندما وصلوا أمام المطبخ توقف أندريس ليطلّ من بابه إلى الداخل، طالباً إرسال المرطبات إلى جانب البركة. ثم تابعوا السير إلى أن خرجوا من المنزل سائرين على أراضي المزرعة المغمورة بأشعة الشمس المتألقة.

تركت صوفي أندريس وميشيل يسيران أمامها لسببين؛ الأول أنها أرادت أن يعقد أندريس مع ميشيل صداقة حسنة لأجل مصلحة الصبي، ولتلطيف الجوّ بينهم عموماً. أما السبب الثاني، فقد وجدت نفسها بحاجة إلى أن تحلّل كل ما حدث وقيل لكي تقرر ما إذا كانت قد تصرفت بتهور. فهي في الحقيقة، تشعر بالذنب قليلاً بالنسبة إلى بعض ما قالته، وكلّما تعمقت في مراجعة حديثها، كلّما تأكدت من أنها تجاوزت الحدّ. عضّت شفتها وهي تنظر إلى هذا الرجل الطويل القوي والصبي الصغير أمامها، وأشعة شمس العصر الحارقة تنصبّ على رأس فاحم الشعر وعلى آخر أصغر ذي شعر بني ذهبي. وفكرت أنه لم يمضِ على وجودها في اليونان أكثر من دقيقتين وإذا بها قد حفرت فجوة عميقة بينها وبين أندريس. إنها هنا بصفتها أخت جيل وخالة ميشيل، وأندريس هو عم ميشيل وقريب جيل. ما يعني أن الروابط الأسرية بينهما قوية لسوء الحظ.

أوشكوا على الوصول إلى بركة السباحة الفسيحة، التي كانت مياهها الزرقاء تتألق إغراءً في هذا الحرّ الشديد. ولكن، رغم روعة ما يحيط بها،

الردهة: «ما الذي تخافين أن يفعلوه بها؟».

- ليس لديّ فكرة. أنا وأختي لا نعرفك أو نعرف أسرتك! كل ما نعلمه هو أنكم جميعاً اختلفتم مع ثيودور، لسبب ما، منذ سنوات ولم يحدث أي لقاء معه أو مع زوجته وابنه حتى الآن.

- لا يمكنك أن تلقي اللوم في ذلك على والدينا. لم تكن أمي لتتعزى حين رحل ثيودور عن اليونان، وكانت مستعدة لأن تقوم بأي شيء للمصالحة.

وراح يحملق فيها بقوة، ولم تلن ملامحه إلا عندما ناداهما ميشيل بفروغ صبر، فقال: «ولم يكن هناك خلاف بيننا كما تظنين. لقد غادر أخي اليونان لأنه يريد ذلك، وكان هو الذي نبذ أسرته من حياته».

فردت عليه بحدة: «جيل وميشيل هما أسرة ثيودور. ومما فهمته، زواجه من أختي كان آخر مسمار في نعشه. لكن دعني أخبرك بأنه كان محظوظاً بالحصول عليها، لأن جيل تساوي عشرة من نوع أية فتاة من الطبقة الراقية قد يكون والداه عرضاها عليه».

- والآن، إسمعيني...

- لا أريد أن أسمع شيئاً، يا سيد كاريديس. قد تبرئك جيل من كل ذنب لفقدان الأدلة الكافية، لكنني أخبرك هنا والآن، بأن أختي وميشيل هما كل ما يهمني. لست مضطرة إلى أن أحب أياً منكم، وأريد أن أتأكد من أن لا أحد سيستغل طبيعة جيل اللينة الطيبة. والآن أنت وعدت ميشيل بأن تريه السيارتين وبركة السباحة، ولهذا أظن أن علينا أن نحقق له ذلك.

وحلقت فيه، وعيناها ترسلان لهباً أزرق قبل أن تستدير لتواجه ميشيل وقد لانت ملامحها. وعندما سارت لتبتعد، شعرت بيده تقبض على معصمها مرة أخرى. فاستدارت بسرعة تواجهه، وهي تصرف بأسنانها: «المسني مرة أخرى، مرة واحدة فقط، فأنسى أن ميشيل واقف هناك ينظر

إلينا وأوقع بك قصاصاً كان عليك أن تتلقاه منذ سنوات».

الذهول الصارخ الذي بدا على وجهه كاد يجعلها تبتسم. لكنها كانت من الغضب بحيث لم تقدّر تماماً أن هذه قد تكون المرة الأولى التي يتلقى فيها أندريس كاريديس تعنيفاً قاسياً، ولمجرد زلة بسيطة ارتكبها نحو فتاة إنكليزية. وعندما سقطت يده عن ذراعها، استدارت واتجهت إلى ميشيل الذي كان ينتظر بلهفة وقلق، شاعرة بأندريس خلفها بالضبط. ثم ساروا جميعاً في ممرّ طويل بعد الردهة، وعندما وصلوا أمام المطبخ توقف أندريس ليطلّ من بابه إلى الداخل، طالباً إرسال المرطّبات إلى جانب البركة. ثم تابعوا السير إلى أن خرجوا من المنزل سائرين على أراضي المزرعة المغمورة بأشعة الشمس المتألقة.

تركت صوفي أندريس وميشيل يسيران أمامها لسببين؛ الأول أنها أرادت أن يعقد أندريس مع ميشيل صداقة حسنة لأجل مصلحة الصبي، ولتلطيف الجوّ بينهم عموماً. أما السبب الثاني، فقد وجدت نفسها بحاجة إلى أن تحلّل كل ما حدث وقيل لكي تقرر ما إذا كانت قد تصرفت بتهور. فهي في الحقيقة، تشعر بالذنب قليلاً بالنسبة إلى بعض ما قالته، وكلّما تعمقت في مراجعة حديثها، كلّما تأكدت من أنها تجاوزت الحدّ. عضّت شفتها وهي تنظر إلى هذا الرجل الطويل القوي والصبي الصغير أمامها، وأشعة شمس العصر الحارقة تنصبّ على رأس فاحم الشعر وعلى آخر أصغر ذي شعر بني ذهبي. وفكرت أنه لم يمضِ على وجودها في اليونان أكثر من دقيقتين وإذا بها قد حفرت فجوة عميقة بينها وبين أندريس. إنها هنا بصفتها أخت جيل وخالة ميشيل، وأندريس هو عم ميشيل وقريب جيل. ما يعني أن الروابط الأسرية بينهما قوية لسوء الحظ.

أوشكوا على الوصول إلى بركة السباحة الفسيحة، التي كانت مياهها الزرقاء تتألق إغراءً في هذا الحرّ الشديد. ولكن، رغم روعة ما يحيط بها،

وفدادين الأراضي المترامية التي تحبس الأنفاس، لم تكن أفكار صوفي تهتم بكل هذا الجمال، وقد أصبح الأمر أكثر وضوحاً في الهواء الطلق. بداية هذه الإجازة في اليونان لا تبشر بالخير. وتأوهت صوفي في داخلها! ولكن ربما لن يكون أندريس قريباً منهم على الدوام، فقد فهمت منه في السيارة بأن لديه أملاكه الخاصة على بعد عدة أميال. وهكذا، باستثناء زيارة أو اثنتين من باب التهذيب، ليس من المحتمل أن يضيّع وقته في زيارات لأرملة أخيه وأختها. ولكن، هناك ميشيل. ويبدو أنهما، هما الإثنين، قد انسجما معاً تماماً، وهذا أمر عظيم في الواقع. بل.. يجب أن يكون كذلك لو كان عم ميشيل شخصاً آخر غير أندريس. آه! إنها لم تعد تعرف كيف تفكر، كما بدأ الصداع يتملكها، وذلك كله ذنب أندريس!

عندما وصلوا إلى بركة السباحة التفت إليها وهو يشير إلى إحدى الزوايا، حيث رأت شجرة وارفة قد تفتحت براعمها، تلقي بظلها على الأرض المبلطة. ثم قال بنبرة جافة: «لماذا لا تجلسين في الظل؟ الشمس شديدة الحرارة».

- شكراً.

رأت صوفي في أنحاء المكان مقاعد منجدة مستطيلة وبعض الموائد والكراسي. ورأت من بعيد مبنى من القرميد مخصصاً للشواء في إحدى الزوايا، وبيتاً خشبياً جميلاً للتشمس في زاوية أخرى. نظرت حولها ثم أرغمت نفسها على القول: «هذا مكان سار للغاية، وشاعري تماماً».

أومأ وهو يسير أمامهما إلى مائدة حولها أربع كراسي. وما إن جلسوا حتى كانت كريستينا، مديرة المنزل القصيرة الممتلئة، قد وصلت دافعة أمامها عربة تحتوي على إبريق من عصير الليمون المثلّج وثلاث كؤوس، بالإضافة إلى طبق يحتوي على فطائر محلاة وآخر يحتوي على بسكويت. وكذلك كان هناك طبق واسع يحتوي على فاكهة وعدة أطباق أصغر تحتوي

على أنواع من النقل والفاكهة المجففة. ابتسمت لهم كريستينا، وأومأت محيية قبل أن تشعث شعر ميشيل مداعبة ثم تعود إلى البيت. وتأملت صوفي هذه المآكل الخفيفة بصمت.

لحسن الحظ، أن ميشيل لم يكن واعياً إلى توتر الجوّ حوله، فقال وهو يتناول فطيرة محشوة بالجوز والعسل: «كم أحبها! أنا أحب كل شيء هنا. ألست أنت كذلك، يا خالتي صوفي؟».

رشفت صوفي عصير الليمون ثم قالت بصوت حيادي: «نعم. المكان هنا جميل، يا ميشيل».

راح أندريس ينظر إليها رافعاً حاجبه كأنه يستفزها. ثم قال برزانة: «هذا حسن، ما دام لديكما أسبوعان طويلان تستمتعان فيهما بكل شيء».

إذا كانت تشمئز من شيء فهو التهكم، كما فكرت ساخطة وهي تحملق فيه مرة أخرى قبل أن تتمكن من كبح نفسها. ما إن أنهى ميشيل فطيرته، توجه إلى حافة البركة حيث جلس وخلع حذاءه وجوربيه، ثم دلّى قدميه في الماء وهو يترنم بلحن قصير، وقد بدا سعيداً للغاية بهذه اللحظة كما يمكن للأطفال فقط أن يكونوا.

جاهدت صوفي للسيطرة على نفسها كي لا تمنع الصبي من اللعب. لكن ذهابه رفع، بشكل ما، من درجة توتر الجوّ إلى حد الانفجار. وتملكها الارتياح تقريباً إلى درجة ملحوظة عندما قال أندريس معلقاً: «يبدو واضحاً أن ميشيل قد تكيّف بشكل جيد مع فكرة فقدان أبيه».

ثم التفت ينظر إليها. وارتكبت هي غلطة بمبادلته النظر. وعندما سمّرتها عيناه في مكانها أخذ قلبها يخفق، كما راحت يدها ترتجف قليلاً: «إنهما... إنهما لم يكونا على علاقة حميمة. كان ثيودور يمضي معظم أوقاته في العمل».

قالت هذا بجفاء وهي تحوّل نظراتها بعيداً. وفي الواقع، كانت صوفي

تشعر دوماً بأن ثيودور أب صارم، وأن ميشيل يخافه أكثر مما يحبه، لكنها لن تخبر أندريس بذلك. هذا إلى أنها قد تكون مخطئة، فهي لم ترهما معاً سوى مرات قليلة.

قال أندريس ببرودة: «أنت لم تحبي أخي».

نظرت إليه مدهوشة فرأته ينظر إليها بعينين ضيقتين مفكرتين ولكن دون عداء، ومع ذلك لم تكن مستعدة للوثوق. حدقت إليه لحظة سألته بعدها: «ما الذي جعلك تقول ذلك؟».

- هل أنا مخطىء؟

- كان زوج جيل وكانت تحبه.

- هذا ليس جواباً.

- بل هو كذلك بالنسبة إلي.

ورفعت وجهها وقد توتر فمها الناعم، لكنه بقي يتأملها بشكل اعتبرته فضولاً بالغاً، فقالت: «وهو الجواب الوحيد الذي ستحصل عليه مني».

وأخيراً قال وهو يميل نحوها قليلاً: «أنت تدافعين كثيراً عن زواج أختك».

أحقاً هي كذلك؟ لم تكن تظن هذا. ولكن لا شك في أن أندريس يجعلها متوترة بهذا الشكل: «لا، أنا لست كذلك. لكنني أظن أن علاقتهما بعضهما البعض هي من شؤونهما الخاصة».

قالت هذا بحدة وهي تتململ بضيق، فقال باتزان ولطف: «أنا موافق على هذا تماماً. ولكن، إذا كنت أتذكر جيداً، موقفك من ثيودور هو ما كنت أتحدث عنه».

وابتسم، فاعتبرت صوفي أنها ابتسامة متغطرسة. فردت بسرعة: «بما أنك عرفتني اليوم فقط، ولم تكن قد رأيت أخاك منذ سنوات، أرى أن أية

ملاحظة من ذلك النوع هي وقاحة بالغة».

اتكأ إلى الخلف في كرسيه ليشعر بارتياح أكبر. وسجّلت حواسها حركته هذه بحساسية بالغة، رغم تقويتها لنفسها كي لا تكشف شيئاً لهاتين العينين الرماديتين المهلكتين. بدا أندريس غريباً في تصرفاته، أكثر مما كان ثيودور. لكنها لا تظن أن دمه اليوناني وحده هو الذي جعلها تشعر بذلك، بل هي مهابة رجولته الطبيعية، وكبر حجمه، وقوة عضلاته التي تكسو كتفيه وصدره، ونوع وسامته الصارم. لم يكن ثمة نعومة في أية ناحية منه، وبالرغم عنها وجدت هذا النوع من الرجولة الساحقة جذاباً رغم خطورته ووعيده. بدا ساخراً خشناً عديم الرحمة، لكنه أيضاً شديد الجاذبية. وراهنت على أنه بالغ الحيوية في الحب.

صدمها هذا النوع من التفكير ما جعلها تنتصب في كرسيها. إذ لم تصدّق أن أفكارها تذهب بها إلى هذا الحد.

- ما بك؟

لم تغفل عيناه عن إجفالها. فأجابت بصوت أرغمته على أن يبدو هادئاً شارداً: «لا شيء. لكنني أفضل العودة إلى البيت الآن، إذا لم يكن لديك مانع».

ونظرت إليه بحزم، شاعرة بما سيكون جوابه. فقال بصوت بالغ النعومة: «بل لديّ مانع. ما زال علينا أن نرى السيارات، إذا كنت تذكرين».

فقالت بحدة: «ميشيل هو الذي تهمه السيارات وليس أنا، كما تعلم جيداً. أنا لا أريد أن أراها».

حدّق إليها بابتسامة غامضة لم تصل إلى عينيه: «هذا مؤسف، لأنك سترينها».

- فهمت.

وحملقت فيه مرة أخرى وقد ثار غضبها، فلم تستطع أن تماثله بانضباطه الذي يثير الضيق وقالت بنبرة باردة كالثلج: «الترحيب بالضيف وتوفير الراحة له ليست أقوى ميزاتك، يا سيد كاريديس. أليس كذلك؟».

تصلّب جسده لكلماتها ثم ضحك بهدوء، والخشونة بادية في ملامحه:

«هل تشعرين بالإهانة إذا أنا قلت إن هذا يعتمد على الضيف نفسه؟ أو إن أمثالك من النساء يجعلني أدرك لما لم تمنح المرأة عندنا حق الانتخاب قبل العام ١٩٥٢؟».

– آه، كم أنت متعصب، يا سيد كاريديس. أظنك أحد أولئك الرجال المثيرين للأسف الذين يخافون من كل امرأة ذات عقل مستقل لا تخاف من استعماله. ما هو رأيك في الجنس الأنثوي؟ ولكن لا، دعني أنا أخمن. أنت ممن يفضلون أن تبقى النساء دوماً حوامل حافيات الأقدام. وإذا لم يكن كذلك فعليهن أن يتساقطن فوق أذرعكم القوية مظهرات ضعفهن».

فقال مستنكراً: «لا، يا صوفي. فأنا أفضل أن تنتظر المرأة حتى يطلب الرجل منها ذلك».

أدركت صوفي أنه يسخر منها. لكنها، بالرغم من ذلك، لم تستطع أن تخفي غضبها العنيف من تهجمه الهادىء عليها. فالتهبت عيناها وتوهجت وجنتاها وهي تغمغم بسرعة واضطراب: «أنت ... أنت ...».

فقال بهدوء: «متعصب هي العبارة المناسبة لذلك، لكنك سبق واستعملتها. وعلى كل حال، بما أنك امرأة غير عادية، أنا واثق من أنك ستجدين تعريفاً أكثر وضوحاً إذا حاولت».

إنه يضحك منها! إنها ترى ذلك في التواء شفتيه الذي لا يكاد يُخفى، وفي لمعان التسلية في عينيه. وودت صوفي لو أن بإمكانها أن تعطي كل ما لديها في سبيل أن تصفعه، لتزيل بذلك تلك الابتسامة المتكلفة عن وجهه الوسيم هذا. ولكن ميشيل على مقربة منهما، ولن يفيد الطفل بشيء أن

تقوم خالته فجأة بمهاجمة عمه الجديد، رغم أن ذلك سيريح أعصابها حتماً. وتملكها اليأس. وكأنما قرأ هو أفكارها، فأضاف بلطف: «والآن، أرجوك، يا صوفي فيرن. لا ترغميني على أن أحملك إلى الكاراج وأنت ترفسين وتصرخين. فقد يكدّر هذا أفراد الأسرة».

فردت بحرارة: «والأسرة طبعاً هي كل ما يهمك».

فأجاب وعيناه تنذران بالسوء: «هذا صحيح. إذ يهمني أمر والديَّ تماماً، كما أنني واثق من اهتمامك لأمر أختك. وهكذا دعينا، على الأقل، نتظاهر بأننا مهذبان، أليس كذلك؟ لمدة أسبوعين فقط، على كل حال».

استجمعت صوفي كل ما لديها من إرادة وتنفست بعمق، إنها لم تكره في حياتها أحداً إلى هذ الحد أو بهذه السرعة، إنه وحش متغطرس، وهي تزدريه وتحتقره. لكن هذه الزيارة ليست لأجلها أو لأجل مشاعرها، فقد جاءت إلى اليونان للاهتمام بجيل وميشيل وتسهيل الأمور لأجلهما قدر إمكانها. إن عداءً طويلاً مع شقيق ثيودور غير مناسب في هذه الظروف.

رفعت رأسها وقالت بفتور: «يمكنني أن أصبر أسبوعين إذا أمكنك ذلك».

– هذا عظيم.

ثم نهض واقفاً ومدّ لها يده: «وهكذا سنأخذ ميشيل ليرى السيارات ثم نعود إلى الأسرة، هادئين مبتسمين. أليس كذلك؟».

صرفت صوفي بأسنانها وهي تقف متجاهلة يده الممدودة. الحمد لله أن أندريس لا يعيش مع أسرته! لم تستطع أن تتصور نفسها وهي ترى هذا الرجل يومياً لمدة أسبوعين، ولو كانت تملك كل النوايا الطيبة في العالم.

وخطرت ببالها فجأة صورة عرس أمها. كانت قد عثرت على تلك الصورة في المخزن العتيق ذات يوم، وهي في حوالى الحادية عشرة من عمرها، عندما كانت هي وأختها تقلّبان في محتويات المخزن. يومها كانت أمهما في العمل

الذي كان يستغرق معظم أوقاتها، ورغم أن أمهما لم تكلفهما بأي خدمة مادية، إلا أنهما، في الواقع، ربتا نفسيهما بنفسيهما.

منذ بدأت الفتاتان تلقيان أسئلة عن أبيهما، رفضت أمهما أن تتحدث عن الرجل الذي تخلّ عنها بذلك الشكل، لكن صمتها المرّ تحدث عن نفسه. ولم تجرؤ الفتاتان على الإلحاح عليها، وافترضتا أن أمهما أتلفت كل الصور التي أخذت لهما معاً. عندما عثرتا على صورة ذلك الرجل الوسيم الباسم وعروسه الجميلة المتألقة، أمضتا ساعات في التفرج عليها. بدا مظهر أمها الهش الرقيق أكثر رقة وهشاشة بجانب ذلك الرجل الأسمر الطويل. كانت ترفع بصرهاإلى عريسها الوسيم بحب وشغف ما يدل بوضوح على مبلغ حبها له. أما أبوها فلم يكن ينظر إلى عروسه وإنما إلى الكاميرا مباشرة. فيما حمل مظهره الواثق ووجهه الوسيم معنى الرضا عن النفس الذي يقارب الغطرسة.

كان ذلك ينسجم بالضبط مع الحقائق التي يعرفانها عنه، وهي أن أباهما هرب مع ملكة جمال محلية بعد شهرين من ولادتهما، ولم يزعج نفسه بهما منذ ذلك الحين كما لم يتحدث إلى زوجته مرة أخرى. لم تبدِ جيل اهتماماً كبيراً بالصورة، ولكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة إلى صوفي، إذ بدأت الصورة تفعل فعلها الهدام في روحها. بدا أبوهما وسيماً بشكل عدواني، فياض الرجولة، أسمر، تفيض منه جاذبية بدت وكأنها على وشك القفز من الصورة. وكرهته صوفي، كرهت غروره وجماله الوقح وجاذبيته التي أوقعت أمها في حياة الوحدة والعمل الشاق دون أن يهتم مثقال ذرة.

- خالتي صوفي. تعالي.

فروغ صبر ميشيل وصوته الصبياني أخرجا صوفي من تأملاتها القاتمة هذه، لتعيدها إلى شمس حزيران المشرقة. لكنها حدّقت بشرود إلى هذا الصبي الواقف أمامها، ثم أرغمت نفسها على الإنتباه: «عمي أندريس

سيأخذنا لنرى اللامبورغيني والمرسيدس».

كان الجوّ يعبق بعطر الأزهار التي تحيط بالمنطقة الخضراء، ولاحظت وجود عدة تعريشات من الأزهار مكمّلة بمقاعد خشبية مستطيلة. كان ذلك أشبه ببيت فخم في إنكلترا. لا بد أن لدى أسرة كاريديس جيشاً من البستانيين لكي يبقوا الحدائق بمثل هذه الحالة الممتازة، هذا ما فكرت به وهي تمرّ في هذه الحدائق الكاملة الجمال.

كانت ملاعب التنس تمتد خلف صف من المرائب ذات السطوح الحمراء الجميلة، الواقعة خلف المنزل. وقفت صوفي تنظر إلى الأفق، بينما راح ميشيل يهتف بحماسة خلفها وهو يتسلق بسرعة إلى سيارة اللامبورغيني ويجلس فيها وهو في منتهى اللهفة، بينما جلس أندريس في السيارة مع ابن أخيه.

بات من المؤكد لها الآن، أن جيل قد تزوجت من رجل ينتمي إلى أسرة أسطورية الثراء، ولكن ما الذي جعل ثيودور ينفصل عن أسرته بذلك الشكل؟ رغم أنه يبدو أن لأندريس طبيعة أخيه المتسلطة، إلا أن والدهما إيفانجيلوس يبدو ودوداً دافىء المشاعر، كما أن زوجته تفوقه في ذلك. ومع ذلك هذا ليس من شأنها، كما حدثت صوفي نفسها بصمت. شأنها ينحصر فقط في كل ما يؤثر على جيل. كل ما يهمها هو أن تتأكد من أن جيل لم تتعهد لهذه الأسرة بشيء، سواء بالنسبة إلى نفسها أو بالنسبة إلى ميشيل.

إنها لا تثق بهؤلاء الناس... على الأطلاق، أما هذا الرجل الكبير الحجم الرائع الجاذبية وابن أخيه الصغير، فثقتها بهما أقل بكثير.

٣ ـ الخطر الأسمر

عندما دخلوا غرفة الجلوس بعد فترة قصيرة، كانت جيل تثرثر بسعادة بالغة. ورغم أن صوفي سرّت لرؤية أختها مرتاحة منطلقة، إلا أن شعوراً بالقلق تملكها. إذ لطالما خدعت المظاهر أختها، فظنت الناس لطفاء مستقيمين حقاً كما يبدون أمامها. لكن من تتعامل معهم ليسوا أصدقاء في المدرسة اكتشفت أنهم منافقون أو صديقاً لأختها هجرها، إنها أسرة كاريديس... أسرة زوج جيل، وجدّي ميشيل... وهو شيء مختلف جداً وقد يكون خطيراً للغاية.

ركض ميشيل إلى أمه على الفور، ينقل إليها أخبار بركة السباحة والسيارات، وعندما وقفت صوفي لحظة عند العتبة، استدار أندريس ونظر إليها مباشرة، ثم قال بصوت منخفض: «ابتسمي، يا صوفي. إذا أنت نظرت إلى والديّ بهذا الشكل، سيظنان أنك لا تحبينهما، وهذا غير مناسب أبداً».

أجفلت صوفي قليلاً قبل أن تعود فتتحكم في نفسها، وتستجيب إلى التحدي قائلة وقد التهبت عيناها: «لا أحد يخبرني بما علي أن أفعل خصوصاً أنت، يا سيد كاريديس».

جاء صوتها منخفضاً كصوته، لكن نبرته جعلت فمه يتوتر: «هل لك أن تتذكري ذلك؟».

لقد أغاظته... هذا حسن. وتقدمت نحو الجدّين. وهي تشعر بالرضى

لأنها تمكنت من اختراق غروره البالغ ولو بهذا الشكل البسيط. وضعت ابتسامة على شفتيها وهي تقول بأدب: «لديكما منزل رائع الجمال».

فابتسمت لها ديميترا: «شكراً يا عزيزتي. لقد فهمت أنك كنت سنداً قوياً لجيل منذ...».

وتهدج صوتها لكنها ابتلعت ريقها بسرعة وأسرعت تتابع: «منذ موت ثيودور».

فتحت صوفي فمها لتنطق بجواب اجتماعي مناسب، لكنها عندما نظرت إلى عيني والدة ثيودور، رأت ما كانت جيل قد رأته؛ ألم، عذاب، قنوط ولهفة واضحة إلى أن تحبها كنتها وشقيقه كنتها. ومحى هذا من ذهن صوفي كل شيء ما عدا الرغبة في مواساة هذه المرأة الحزينة أمامها، فجلست وقالت لها برقة: «ساعدتها قليلاً لكنني أدركت مبلغ أهمية قدوم جيل إلى هنا للتعرف إليك، وأهمية أن يتعرف ميشيل إلى جدّيه».

تمتمت ديميترا وهي تنظر إلى ميشيل: «يكفي ما ضاع من وقت، ومن سنوات ذهبت سدى. يكفي آلاماً».

ـ لكن ميشيل وجيل هما هنا الآن، وهذه بداية جديدة.

قال أندريس هذا من خلف صوفي مباشرة، حتى إنها شعرت بأنفاسه الدافئة على رقبتها فتملكتها رجفة فيما تابع هو يقول: «أليس كذلك؟ وستمضين أياماً كثيرة سعيدة في الحديث والأقاويل وتقويم الناس، دون شك».

بدا صوته سهلاً رقيقاً، بنبرة مختلفة تماماً عن تلك التي يستخدمها معها. لكنها لم تفهم شيئاً مما قال. وما حيّرها أن ثيودور كان قد أعلن أن القطيعة بينه وبين أسرته أصبحت قوية كالإسمنت عندما تزوج من فتاة إنكليزية، وها هي ذي أسرته ترحّب بجيل بذراعين مفتوحتين.

بقيت هذه الفكرة تقلقها حتى عندما صعدت بها الخادمة إينكا إلى

غرفتها. كما صعد ميشيل وجيل أيضاً إلى غرفتيهما، كي يأخذ الجميع قسطاً من الراحة قبل موعد العشاء. اقترح أندريس أن يأخذ ميشيل إلى البركة للسباحة، وهي دعوة تلقاها الصبي بابتهاج قبل أن يتناول وجبة الشاي وتضعه أمه في الفراش.

استلقت صوفي على السرير المزدوج، لكنها بعد دقائق تخلت عن فكرة النوم، فسارت إلى الباب الزجاجي المؤدي إلى شرفتها. غرفة النوم المترفة والجناح المبلط بالرخام كانا مزينين بالألوان الوردي والأزرق والليلكي، كما أن مكيّف الهواء جعل الجوّ مريحاً. ولكن عندما أزاحت صوفي الستارة وفتحت باب الشرفة، صفعتها حرارة الجوّ بقوّة ما ذكّرها بأنها في بلاد أجنبية.

كانت الشرفة مؤثثة بمنضدة صغيرة وكرسيين. ووزّعت فيها أحواض زرعت فيها أزهار مختلفة الأنواع والألوان، تسلّق بعضها على سياج الشرفة. وكانت الأرض الرخامية من السخونة بحيث أوشكت أن تحرق قدميها قبل أن تلقي بنفسها على أحد الكرسيين وهي تتنهد مسرورة.

مدّت صوفي ساقيها الطويلتين تحت أشعة الشمس، مريحة رأسها إلى الخلف على حافة الكرسي، ثم أغمضت عينيها تاركة السخونة تدفىء كل بقعة في جسدها. ما أروع ذلك وما أجمله! هذان الأسبوعان من الراحة والتعرض لأشعة الشمس سيغيران جيل للغاية. كما بدا واضحاً أن ميشيل ينوي أن يستغل تماماً عطلته غير المتوقعة هذه.

ويبدو أن النوم قد غلبها، فعندما استيقظت على أصوات تحت شرفتها، شعرت وكأنها خرجت من بين لفائف من القطن. فتحت أجفانها التي أثقلها النعاس وتحرّكت بحذر على كرسيها، وقد أحسّت بألم خفيف في عضلات عنقها بسبب الوضع الذي كانت فيه.

- هل يمكننا أن نأتي إلى بركة السباحة غداً، يا عمي أندريس؟ أرجوك.

هل يمكننا ذلك؟

بدا ميشيل من الحماسة ما جعل صوفي تتلصص بالنظر من خلال ستار النبات والأزهار الذي كان يخفيها عن الأعين. رأته وقد ابتلّ شعره فأخذت خصلاته تقطر ماء وجسده الصغير يلمع كثعبان الماء. ولكن ليست رؤية ابن أختها ما سمّرها مكانها حتى كاد قلبها يكفّ عن الخفقان، ثم يعود فتسارع خفقاته بشكل غريب، بل رؤية أندريس وهو يسير بجانب ميشيل. بدا واضحاً أنه أكثر من مجرد مراقب له، يدل على ذلك ثوب السباحة الأسود الضئيل الحجم الذي يرتديه والمنشفة الملقاة على كتفه العريضة. بدا جسده الأسمر بارز العضلات، فيما يلتمع الشعر الأسود على صدره بقطرات الماء. بدا جسمه قوياً ذو عضلات مفتولة دون أي زوائد أو دهون.

شعرت صوفي بعدم الارتياح وهي تدرك أنها تتلصص عليه... وفي الواقع، لم تكن هناك كلمة أخرى تعبر عن هذا التجسس الخفي المخزي. لكنها منذ رأته وهي لا تستطيع تحويل نظراتها عنه.

نشأتها في بيت لا يحوي سوى الأناث، جعلها تشعر بالخجل من الرجال في حداثتها. وجسم ماثيو الأشقر العديم الشعر تقريباً لم يهيئها لما تراه الآن. كانت تحبس أنفاسها بافتتان ذاهل، وما إن دخل أندريس وميشيل إلى البيت، حتى أطلقت نفسها الحبيس ذاك بآهة ممدودة منخفضة، ثم عادت تغوص في كرسيها وقلبها يخفق عالياً.

رفعت يديها إلى خدّيها فوجدتهما ملتهبين. ذلك سخيف... سخيف حقاً، كما حدثت نفسها بانفعال. إنها ليست تلميذة مدرسة صغيرة متوترة الأعصاب، ولا هي من ذلك النوع الضعيف السريع الانفعال من النساء. فقد عوّدتها مهنتها على الاحتكاك بكثير من الأقوياء ذوي العزم من الجنسين، كما أنها كانت متزوجة، وبذلك لم يكن الرجل يشكّل غموضاً

بالنسبة إليها. أو على الأقل، هذا ما كانت تظنه. عضت على شفتها وهي تحدّق من الشرفة إلى السماء الزرقاء فوقها. لقد خفّت حرارة الشمس الآن بعد أن تقدم النهار. وحدثت نفسها بحزم بأنها لن تستمر في التفكير في هذا، بل ستدخل الحمام. وبعد أن تزيل عن جسدها آثار الرحلة ومن نفسها آثار أندريس كاريديس، يبقى لديها أكثر من ساعة للتزيّن والتأنق، فهي تريد أن تبدو بأروع صورة الليلة. إنها تريد أن تثبت لشقيق ثيودور أنها امرأة هادئة متزنة محنكة، وأن سخريته الكريهة منها وكراهيته البادية لها، لا تعنيان لها شيئاً. وأن تأثيره عليها لا يعدو تأثير رجل مفصّل من الورق المقوّى.

طيلة فترة استعدادها للعشاء راحت تحدث نفسها بمثل هذه الأشياء. وعندما دخلت غرفة ميشيل لتحييه تحية المساء قبل النوم، كانت طاقة التفكير الإيجابي قد فعلت فعلها. شعرت أن بإمكانها أن تتحدى مئة أندريس، خصوصاً عندما حملقت جيل فيها وهي تهتف بصوت خافت إعجاباً بمظهرها: «آه».

وضحكت صوفي لأختها وهي تدور لتريها ثوبها المرجاني الذي يحتضن جسدها الرشيق قائلة: «هذه إحدى حسنات العمل، ومع ذلك دفعت ثمنه ثروة. نادراً ما أسمح لنفسي بشراء ثوب غالي الثمن، لكن هذا هو أغلى ثوب اشتريته».

لم تكن جيل قد ارتدت ثوب السهرة بعد، فسألتها صوفي: «ما الذي ستلبسينه الليلة؟».

- لا أدري. تعالي وساعديني في الاختيار.

لم تكن جيل تهتم بالأناقة كأختها. وأي ثوب جميل تملكه، هو عادة هدية من أختها. عندما أصبحتا في غرفة جيل، وهي لا تختلف عن غرفة صوفي إلا بألوانها التي تتنوع بين الأزرق والقرمزي والأبيض الساطع، حدقت صوفي في ملابس أختها التي كانت قد وضعتها لها في الحقيبة

بنفسها، لأن جيل لم تعرف ماذا عليها أن تحضر معها.

ثم سحبت ثوباً بلون اللافندر صدره مطرز، ويحيط بياقته شريط حريري مزين بالخرز البرّاق. وقالت لها مشجعة: «ستقتلهم الليلة حسداً يا أختي، أو نموت في المحاولة... اتفقنا؟».

فقالت جيل وهي تحاول الابتسام: «لم ألبس هذا الثوب قط منذ أهديتنيه. آه، يا صوفي، أنا متوترة الأعصاب للغاية. إنهم ليسوا من طبقتنا، أليس كذلك؟ لم أحلم بأن يكون ثيودور قد جاء من خلفية كهذه».

فطمأنتها صوفي بحزم: «لكنك انسجمت تماماً مع والديه. ويبدو أنهم مسرورون لأنك وميشيل هنا. كوني فقط طبيعية، يا جيل، وهذا يكفي. وصدقيني أننا، في ثوبينا هذين، لا نبدو أننا أقاربهم الفقراء، بل ربما «النبيلتان جيل وصوفي» هي الصفة الأصح».

- آه، يا صوفي!

وعندما نزلت المرأتان إلى الطابق الأسفل، كانت إينكا تنتظرهما في الردهة، فقادتهما إلى غرفة طعام واسعة مزينة. كان الجميع جالسين في ساحة الدار، يستمتعون بشرب المرطبات وبرؤية مشهد غروب الشمس.

- كم تبدوان جميلتين!

جاء صوت ديميترا دافئاً، صادقاً، كما قدم زوجها مجاملته لهما أيضاً، لكن صوفي كانت مشغولة عن ذلك بالتغلب على تأثير مظهر أندريس بملابس المساء على حواسها. أو بالأحرى على شتات حواسها الباقية. حدثت نفسها بصمت، كم هو رائع! رائع وخطر! فالملابس الرسمية أضفت نوعاً من القسوة على مظهره المتألق الوسيم، ما جعلها ترتجف في أعماقها، متمنية لو أن هذا المساء هو في نهايته وليس في بدايته. إنها على حق في الاحتراس من هذا الرجل.

سمعته يمدح جيل متملقاً قبل أن يجرّها والده إلى جانبهما ويسألها عما إذا

كان ميشيل قد استقر في نومه. وهكذا باتت تقف وحدها مرتبكة نوعاً ما بجانب أندريس. ناولتها إينكا كوباً من العصير، فركزت صوفي اهتمامها عليه، بينما حوّل أندريس نظراته إليها وهو يقول برقة: «أنت مفخرة لمهنتك ورائعة الجمال».

فابتسمت بأدب: «شكراً».

ومع أن كلماته بدت بريئة، إلا أن صوفي لمست فيها نبرة لم تعجبها. لكنها لن ترضيه بمعرفة أنها لاحظت ذلك. إنها تفضل الموت على هذا.

- هل أفهم من ذلك أنك أنت ألبست جيل ثوبها أيضاً؟

- ماذا؟

بعد أن حوّلت نظراتها عنه، عادت تنظر الآن إليه بعنف. لم تكن مخطئة إذن، إنه حتماً يهدف إلى شيء ما.

وقال أندريس بلطف: «أعني هل صوفي فيرن هي من اختارت لأختك ملابسها، أم أنني مخطىء؟».

كانت لغته الإنكليزية ممتازة، ولكن مع لكنة خفيفة. إلا أن صوته الأجش العميق جعلت معدتها تتقلص وهي تقول: « لا. أنت لست مخطئاً، يا سيد كاريديس. هل أفهم من هذا أن ملابس جيل لم تعجبك؟».

- لا، ليست المشكلة في ما تلبسه، وإنما في الدافع وراء ذلك. دوافعك يا صوفي. وإن خاطبتني باسم السيد كاريديس مرة أخرى، لن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي. اسمي هو أندريس، كما تعلمين جيداً.

تجاهلت صوفي قوله هذا، ثم رفعت رأسها وقالت ببرودة: «أنت إذن تفتخر بقدرتك على قراءة الأفكار ككل شيء آخر، هل هذا صحيح؟ فسّر لي، يا سيد كاريديس...».

وسكتت فجأة عندما استحالت عيناه إلى لمعان أبنوسي مهلك. ثم عادت

تقول بعد لحظة صمت: «فسّر لي نوع الدوافع الآثمة التي تكمن وراء إهدائي إلى جيل ثوباً رائعاً... هذا الثوب الذي كان هدية عيد ميلادها منذ ستة أشهر».

أنهت كلامها بلهجة انتصار، فقال بنعومة: «أنا لا أحقق في دوافعك الظاهرة، فأنا واثق من أنك تريدين فقط أن تسعدي أختك بهدية بديعة».

- آه، شكراً. كم أنت رقيق.

قاطعته بهذا متهكمة، لكنه تابع يقول: «لكنك شجعت أختك على ارتداء هذا الثوب الليلة لأنك تعتبرين أسرتي عدواً... عدواً يفترض بها أن تحذر منه طوال الوقت. الثوب هو طريقتك في القول إن جيل تعيش في بحبوحة دون الحاجة إلينا في حياتها... فملابسها فاخرة كملابسك».

- يا لهذا الكلام الفارغ!

قالت هذا كاذبة بعنف، مخفضة من صوتها كي لا يسمع الآخرون. فقال أندريس بهدوء: «أتظنين حقاً أن والديّ سيؤذيان جيل وابن ثيودور؟ هل حكمك على الطبيعة البشرية بهذا الضعف؟ إنهما سخيّان دافئا العواطف، ولم يُعرف عنهما الإضرار بأي إنسان».

وقبل أن تفكر في ما ستقوله، ردّت بسرعة: «هناك شيء أنا واثقة من أن ليس بإمكانك أن تقوله».

ثم أخذت تحدق إليه شاعرة بالذعر في داخلها، مع أنها ظاهرياً بدت في غاية البرودة والهدوء. لكن، لم يأتِ جوابه ذلك الانفجار الذي توقعته، بل قال مفكراً، لاوياً شفتيه: «إذن أنا هو الشخص الذي تريدين أن تحمصني أنت وجيل ضده؟».

ولم يكن هناك ما تقوله، فأخذت تحملق فيه صامتة وعيناها البنفسجيتان تلمعان. يا لهذا الرجل الكريه!

وتابع أندريس يقول بصوت ناعم خافت كادت ألا تسمعه: «هل تقومين دوماً بدور المحامية العنيفة؟ وإذا كان الأمر كذلك، لِمَ تركت أختك تتزوج من أخي؟ ما كان ثيودور ليجعلها سعيدة، وحتماً ميشيل لا يعرف أي أب كان أبوه».

شعرت صوفي بالحيرة بحيث لم تستطع أن تخفي ذهولها. لكن ديميترا التفتت إليهما في تلك اللحظة تدعوهما إلى الالتحاق بالآخرين، فاستجابت صوفي بسرعة لم تخف على أندريس. وفكرت أن جيل على حق... فهؤلاء الناس ليسوا من طبقتهما ولا أحد يدري ما الذي سيحدث. هذه الأسرة هي أشبه بحقل ألغام، كما يقال.

قبل أن تدعوهم إينكا إلى العشاء، شعرت صوفي أنها تحتاج إلى كل ذرة من شجاعتها، فقد كانت عينا أندريس ترمقانها طيلة الوقت. كان ذلك يبعث الرجفة في كيانها، وهذا بدوره يغضبها من نفسها ويزيد شعورها بالغثيان، تباً لذلك. أما جيل فراحت تثرثر مع ديميترا، وكأنهما تعرفان بعضهما البعض طوال حياتهما. وكان إيفانجيلوس الأب يشارك المرأتين الحديث بين وقت وآخر. وفي الواقع، بدا الجميع مرتاحين ما عداها، كما فكرت بضيق. لكن الأمر سيتحسن عندما يغادر أندريس المنزل. افترضت أن شقيق ثيودور سوف يمضي معهم عدة ساعات، في البداية، ولكن بما أن لديه بيته الخاص، فهو سيغادر في وقت قريب، ثم سيزورهم بين وقت وآخر. وطلبت من الله أن يكون ذلك في أسرع وقت ممكن.

كانت صوفي تجلس بجانب ديميترا، وجيل تجلس قبالتها، أما أندريس فيجلس بجانب أبيه الذي يترأس المائدة. وهكذا وجدت من السهل أن تتجنب عينيه الصوانيتين. ومع ذلك، كان لوجود أندريس الأسمر تأثيره بحيث جعلها تشعر بالارتباك وعدم الارتياح.

كان الطعام رائعاً. وعندما أخذت أنواع الطعام تتابع، أدركت صوفي

أن طهو كريستينا ممتاز. وأخيراً، جاءت مديرة المنزل تقدم القهوة بعد انتهاء تقديم الحلوى، تتبعها إينكا بإبريق ماء بارد.

كانت صوفي تأمل في أن تتمكن من الهروب إلى غرفتها، ذلك أن تمهّل اليونانيين في تناول العشاء، يجعلهم يمضون ساعتين على المائدة. وساعتان مع أندريس كاريديس هي كافية لأيّ كان. ولكن عندما سكبت كريستينا كوب قهوة بالغ الحلاوة لكل شخص، بينما سكبت إينكا كؤوس الماء البارد، أدركت أنه ما زال أمامها نصف ساعة على الأقل من الثرثرة قبل أن تخرج، وذلك من باب التهذيب. والحقيقة أنها ما كانت تمانع لو كان الحضور والديّ ثيودور وجيل وهي، لكن وجود أندريس كان يجعلها مجفلة على الدوام، وكان هو يعرف هذا.

في العاشرة والنصف، شعرت بأن أعصابها وصلت إلى حد الانهيار، فوقفت قائلة: «أرجو المعذرة، لكن ثمة صداعاً يتملكني».

قالت هذا مخاطبة الجميع، متنقلة نظراتها من وجه إلى وجه قبل أن تركزها على وجه ديميترا: «أظنني سأذهب إلى النوم إذا لم يكن ثمة مانع، شكراً لهذا العشاء اللذيذ، ولترحيبكم البالغ بي. كان لطفاً بالغاً منكم دعوة شخص ثالث مع جيل وابنها، وأنا أقدر لكم هذا».

كانت تتحدث بحرارة وإخلاص. فراح إيفانجيلوس وديميترا يطمئنانها إلى ترحيبهما البالغ بها لكونها، طبعاً، شقيقة جيل العزيزة، وأصرّا أن عليها أن تعتبر نفسها جزءاً من أسرتهما تماماً مثل جيل وميشيل. أثناء ذلك كانت صوفي واعية تماماً إلى نظرات ذلك الرجل الطويل الذي يتفحصها بهدوء، وهو يقف إلى الجانب الآخر من المائدة، رغم أنها تجاهلته. كان أندريس قد وقف عندما وقفت هي، متبعاً الآداب الاجتماعية بكل دقة، كما أخذت تفكر بشيء من الكراهية. لكنه لم يشارك والديه ترحيبهما بها، وإن كانت لا تتوقع منه ذلك.

كان يقف فقط صامتاً، غامضاً، وعيناه اللامعتان على وجهها المتوهج، بينما جسده الكبير مسترخياً جامداً. ينظر إليها وكأنه عالم يدرس نوعاً من البكتيريا تحت المجهر. عادت صوفي تبتسم، وتتمنى لهما ليلة سعيدة بصوت مرح خليِّ البال قدر إمكانها. ثم غادرت الغرفة بسرعة، مرغمة نفسها على التحكم في خطواتها كي لا تركض مهرولة في الردهة، وهي تتجه إلى السلم.

- رجل فظيع، فظيع. ياله من رجل فظيع!

وجدت نفسها تتمتم بذلك وهي تصل إلى غرفتها، ثم تقف فجأة وتقذف بحذائها العالي الكعبين، قبل أن تتوجه إلى السرير وتلقي بنفسها عليه بتأوه مبالغ فيه. لا يمكنها أن تدع أندريس يؤثر عليها بهذا الشكل. إنها لم تمكث في اليونان بعد سوى ساعات، وها هي ذي الآن في خصام دائم مع شقيق ثيودور. من المفترض أنها هنا لتساعد جيل وميشيل، ولتمهد لهما الطريق، لا لتدخل في معركة مع فرد من الأسرة. لقد سلكا هي وأندريس بداية خاطئة، ولكن ما يبعث على التفاؤل، أنه يمهّد الآن بأدب للسلام بينهما. على أي حال، سيكون حضوره في المنزل نادراً، وإذا كان الوالدان ودودين حقاً كما يبدو عليهما، فسوف يكون الأسبوعان القادمان مليئين بالبهجة والسعادة.

كانت قد تركت باب الشرفة مفتوحاً عندما نزلت إلى العشاء، والآن، راح نسيم الليل الدافىء، يحرك الستائر الرقيقة الشفافة. ثم سمعت أصواتاً قادمة من الخارج. لا بد أن أندريس يغادر البيت. ولكن بما أن غرفتها تقع في الجهة الخلفية المطلة على بركة السباحة، لم تستطع أن تميز من الحديث سوى القليل، وذلك حين علا صوت إيفانجيلوس بكلمة لا بد أنها تعني الوداع باللغة اليونانية.

كان الظلام في الخارج دامساً، لكنها خرجت إلى الشرفة تتنشق الهواء

المعطر، وتنظر إلى القمر وهو يخرج من بين الغيوم. فقد تملّكها القلق الليلة ولم تشعر برغبة في النوم، كما أنها لم تكذب بشأن إصابتها بالصداع، وأخذت تدعك صدغيها اللذين يؤلمانها ببطء، فيما شردت أفكارها حول ذلك الليل الدافىء الهادىء. وفكرت أنه مناسب للعشاق ... للعواطف المحمومة... ثم انتبهت فجأة إلى شرود أفكارها، وتملكتها الحيرة والارتباك. ما الذي جرى لها الليلة؟ لماذا تشعر بالتوتر والقلق؟ هذه ليست طبيعتها... إنها دوماً قادرة على التحكم في نفسها.

سمعت صوت محرك سيارة، ثم صوت العجلات وهي تسحق الحصى. واستدلت من ذلك على مغادرة أندريس، إما في سيارة أجرة وإما أنه استدعى سائقه الخاص ليأخذه. المهم أنه غادر هذا المنزل.

ولكن مع اسم أندريس تراءت لها صورته عصر ذلك اليوم بعد مغادرة بركة السباحة... أسمر، قد صبغته الشمس، مليء بالحيوية، بالغ الخطورة.

وفجأة، أدركت صوفي سبب هذا الشعور الذي يتملكها.

٤ ـ ثلج ونار

واجهت صوفي حقيقة أنها منجذبة إلى ذلك الرجل الذي تكرهه تماماً، كما اعتادت طوال سنيها الثماني والعشرين أن تواجه كل أمر غير سار يعترض طريقها. إنه أمر يبعث على الغيظ في هذه الظروف، ويمكنها أن تتصور مبلغ رضاه وسخريته إذا عرف بذلك. . . ما يعني أنه يجب ألا يعرف أبداً. لم يتملكها مثل هذا الشعور قط من قبل، وهي لا تفهم لماذا حدث ذلك الآن بمثل هذا العنف ودون إنذار سابق. أتشعر بالانجذاب نحو شقيق ثيودور، من بين كل الناس؟

أخذت تسير في أنحاء غرفتها والشرر يتطاير من عينيها، وقد توتر فمها بالاشمئزاز من نفسها. الأمر هو أنها لم تعرف رجلاً بهذه الجاذبية المهلكة من قبل، كما استنتجت من تحليلها لنفسيتها طوال عشر دقائق. فليس بين معارفها اليوميين رجل من هذا النوع، مع أنها قد تصادف رجلاً غير عادي أثناء العمل. . رجل بالغ الوسامة بحيث يجعل قلبها سريع الخفقان، ولكن ليس بهذا الشكل. . . ليس كما هو الحال مع أندريس كاريديس. راحت تهدىء نفسها بالقول إن ذلك غير مهم. لا . . . إنه ليس كذلك في الواقع. إلا أن ذعرها بسبب تلك المشاعر التي تتملكها كان خارجاً عن سيطرتها. . . لكنها ليست كذلك . . . ليست كذلك، كل شيء سيكون على ما يرام كما أخذت تؤكد لنفسها متجهمة. منذ كانت في الثالثة أو الرابعة، أدركت أنها وأختها ليس لديهما «بابا» ككل الأطفال الآخرين، أكثر من

هذا، أدركت أن هذا الموضوع يقترن بشيء خفي مخزٍ، كما بدا من ردة فعل أمهما على أسئلتهما. منذ ذلك الحين، فرضت صوفي على نفسها نظام تحكم قاس بالعواطف والمشاعر. وعندما عرفت الحقيقة عن أبيها، ورأت ما تتعرض له المرأة بسبب حبها وثقتها برجل حتى الجنون، أقسمت على أن لا تسمح لنفسها بأن تنحدر إلى مثل هذا الوضع المذل. وهكذا بنت حياتها على مبادىء كبح العواطف، والعزم، والاستقلال الذاتي، وعاشت حياتها سعيدة بهذه القيود. ثم تعرفت إلى ماثيو وتزوجته، و اتفقا على أن يتبع كل منهما مهنته الخاصة، ويهتم بمستقبله في نطاق علاقتهما. وقد نجح الزواج، وكان سيستمر ناجحاً لولا موته.

دخلت إلى الحمام، وفتحت صنبور المياه، بينما أخذت تخلع ملابسها. إنها متعبة فقط، وهذا كل شيء. موت ثيودور، والجنازة الفظيعة، ومحاولتها التسرية عن جيل وميشيل، وإعطاء وظيفتها حقها من ساعات العمل في الوقت نفسه، بالإضافة إلى قلقها على جيل. . لطالما كانت تشعر بأنها أم جيل أكثر منها أختها. كما أخذت تفكر بأسى وهي ترفع وجهها إلى الماء. وأخفت دوماً قلقها من اختيار جيل لزوجها، وقد ازدادت شكوكها مع الأيام بدلاً من أن تنقص.

ما الذي كان أندريس يعنيه بملاحظته تلك عن ثيودور؟ قطبت جبينها وحاولت أن تتذكر كلماته بالضبط. . آه، نعم، قال إن ثيودور ما كان ليستطيع أن يسعد جيل، وإن ميشيل ليس لديه فكرة عن الأب الذي كان لديه. سوف تسأله عما كان يعنيه بذلك، عندما تراه. لا يمكنه أن يدلي بملاحظة كهذه دون أن يوضح الأمر. وفي رأيها، أن هناك أشياء كثيرة تتعلق بثيودور يجب أن تتوضح.

عادت إلى غرفتها والنوم يبعد عنها مليون ميل، أخذت إحدى الروايات التي أحضرتها معها من إنكلترا، ثم جلست في سريرها بوضع

مريح تماماً. ستقرأ عدة دقائق قبل أن تستسلم للنوم. قررت ذلك وهي تنبذ من ذهنها التفكير في ذلك الرجل اليوناني الطويل الأسمر.

بعد ساعة كانت ما تزال مستيقظة تماماً، دون أن تتذكر سطراً مما قرأته، وكأن الكتاب مكتوب بلغة غير مفهومة. ألقت بالكتاب جانباً، وهي تشعر بالاستياء من نفسها. كانت قد سمعت خطوات جيل وهي تصعد إلى غرفتها، وذلك بعد ذهاب أندريس مباشرة. وبعد ذلك بقليل، خفتت كل الأضواء في الطابق السفلي، ونام المنزل كله . . . العالم كله. كما أخذت تحدث نفسها متململة وهي تتساءل عما يجعل اليقظة أسوأ عندما يعرف من يريد النوم أن غيره من الناس ينام بسلام.

بعد نصف ساعة من التململ والتقلب عادت فأشعلت الضوء ونزلت من السرير، مقطبة الحاجبين. لا بأس إن لم تستطع النوم، لكنها ستجن حتماً إذا بقيت في هذه الغرفة دقيقة أخرى. . ستذهب إلى الحدائق لتتمشى. بإمكانها أيضاً أن تأخذ معها ثوب السباحة فإذا كان الضوء كافياً هناك، يمكنها أن تسبح فترة في البركة. كانت حرارة الجوّ شبيهة بحرارة يوم صيفي في إنكلترا.

بعد أن اتخذت قرارها، لبست بسرعة بنطلوناً قطنياً خفيفاً وبلوزة دافئة خفيفة من الكشمير، إذ قد يكون الجوّ بارداً بعد حرارة النهار. وبعد أن تناولت ثوب السباحة ومنشفة ولبست حذاءً خفيفاً، فتحت باب غرفتها بخفة وأخذت تنظر إلى الخارج. بدا المكان هادئاً معتماً، وتملكتها لحظة قلق ما لبث أن تجاهلتها. نزلت إلى الطابق السفلي مستنيرة بضوء القمر الذي كان يتسرّب من النوافذ، كما أن الباب المؤدي من الردهة إلى الخارج لم يكن مقفلاً. وهكذا خرجت صوفي لتتنشق هواء الليل المنعش المعطر دون أي مشكلة. وفي الخارج، وجدت أن البدر ينشر نوره في كل الأنحاء، ما جعل طريقها واضحاً تماماً. أخذت تعب الهواء عباً وهي تسير نحو البركة.

وفجأة، وجدت نفسها تبتسم ضاحكة، هذا عظيم، يا لها من مغامرة! لقد مرت سنوات منذ كانت تتصرف على سجيتها كما هي الآن.

تسارعت خطواتها وهي تجتاز الفناء بخفة، ثم تركض خلال قنطرة من الأزهار إلى حيث تقع بركة السباحة. وبعد أن نفضت حذاءها، خلعت البنطلون والبلوزة ثم ارتدت ثوب السباحة في لحظات. بدت بركة السباحة أعظم حجماً في ضوء القمر، مع أن الناحية الأخرى منها كانت مغمورة بالظل بسبب الأشجار التي تحيط بها. سبب لها ذلك شيئاً من القلق، إلا أنها حدثت نفسها بألا داعي للقلق ولأن تكون غبية بهذا الشكل. سارت إلى الناحية الضحلة حيث أخذ النسيم البارد يداعب بشرتها ويشعث شعرها. مدّت إبهام قدمها إلى الماء تختبر حرارته ثم صرخت بعد أن لسعتها برودته.

كانت على وشك أن تقفز إلى الماء، لأنها تدرك أن النزول بصورة تدريجية سيأخذ منها دهرا. وفجأة سمعت شيئاً. . . حركة. . . رقرقة مياه، أو ربما هي حاستها السادسة. . . توقفت وقد أخذ قلبها يخفق بجنون وهي تحدق النظر في الظلام.

- هل. . . هل من أحد هنا؟

شعرت بنفسها سخيفة وهي تتحدث إلى الهواء، ولكن ثمة شيء جعلها لا تشعر بالارتياح.

مرت لحظة أو لحظتان لم تسمع خلالهما شيئاً. لكن صوفي خالت أن ساعة مرت قبل أن تسمع صوتاً لا يمكن أن تخطئه يقول بهدوء: «هذا أنا أندريس، يا صوفي».

أندريس! أندريس! وسمعت تخبط جسد في المياه. ثم، بعد لحظة، رأت جسماً قاتماً يخرج من الظلال محدثاً موجات ضئيلة تلمع في ضوء القمر. وفي اللحظة نفسها نظرت إلى الكرسي الذي وضعت عليها ملابسها التي خلعتها

فصدمتها الحقيقة القطيعة. لقد ظنت نفسها وحدها فبدلت ثيابها دون اكتراث. أتراه رآها؟ وما الذي سيظنه بها؟

- يا لك من كريه، سافل، متآمر...

- هيه... هيه...

وسكت لحظة لكي يشق طريقه في الماء إلى منتصف البركة، والظلال تكسو وجهه فلا يبدو سوى عينيه اللامعتين وقال: «ماذا فعلت الآن؟».

- ماذا؟.

وخذلتها الكلمات، فتنفست بعمق قبل أن تتابع بعنف: «ماذا فعلت؟ أنت تعلم تماماً ماذا فعلت. تركتني أبدّل ملابسي دون أن تنبس بكلمة تنبهني إلى وجودك. أنت قذر تماماً».

- لكنني لم أرك إلا بعد فوات الأوان. لقد سقطت هنا كشعاع من القمر، وعندما أدركت أنني لم أعد وحدي كنت أنت قد...

فقاطعته غاضبة: «أصبحت في ثوب السباحة».

- نعم.

وأخذ يسبح متقدماً نحوها: «ما ذنبي إذا كنت أنت سيدة منطلقة على سجيتها؟».

قال هذا بنعومة وهو يقترب منها، فقالت غاضبة بصوت كالفحيح: «أنا لست منطلقة على سجيتي».

- هل أنت مكبوتة إذن؟

فحملقت فيه ثم ضربت الأرض بقدمها قائلة بغضب: «لا. لست كذلك طبعاً. ولا تجرب شيئاً من ألاعيبك معي، يا أندريس كاريديس. أنا أعرف أحابيلك الصغيرة».

وفاجأها ردّه حين قال: «حسناً، هذا تحسن كبير».

فحملقت فيه: «ماذا؟».

- لأنك، في الواقع، ناديتني باسمي الأول. ومع أن اسم كاريديس جاء بعده، لكنني ما زلت أعدّ ذلك خطوة إلى الإمام.

لكنها لم تصدقه. بل حدقت إليه ثم استقامت في وقفتها وقالت ببرودة الثلج: «يمكنك أن تعدّ ذلك كما تشاء، لكنني ما زلت أعتبرك قذراً... وأنت تتجسس على الناس بهذا الشكل! هذا خارج حدود الأدب كلياً».

فقال بنعومة: «لم أكن أتجسس عليك، يا صوفي، أكثر مما كنت أنت تتجسسين عليّ منذ فترة».

- ماذا... أنا؟

- نعم، من شرفتك. صودف أنك كنت هناك، وصودف وجودي في الأسفل. أنا متفهم لذلك تماماً. والليلة أنا كنت في البركة وأنت...

وسكت وابتسم لها.

على الرغم من أن صوفي تعتبر نفسها امرأة غير عنيفة، لكنها، في هذه اللحظة، شعرت بأنها تريد أن ترتكب جريمة. وأخيراً استطاعت أن تقول وهي تصرف بأسنانها: «هذا شيء مختلف تماماً وأنت تعلم هذا. لم يكن لدي وقت أظهر فيه نفسي».

فقال يهدئها: «مثلي تماماً».

كان شعره الأسود مبللاً فدفعه بيده إلى الخلف وهو يقف فيصل الماء إلى خصره وعيناه ما زالتا متعلقتين بعينيها. لكنه لم يترك الماء، فربما أحس بأنها ستهرب، لو أنه فعل.

قالت بنبرة متوترة: «أنا... سأعود إلى البيت. أنا لم أحضر إلى هنا لأتبادل الشتائم معك».

فقال برقة: «طبعاً لم تحضري لذلك. بل جئت إلى هنا لتسبحي. إسبحي

إذن. لن يمنعك أحد».

بل هناك ما يمنعها فمع أن ثوب السباحة الذي أحضرته كان محتشماً ومؤلفاً من قطعة واحدة سوداء، لكنها شعرت بالارتباك الشديد، وهاتان العينان المهلكتان مسمّرتان عليها.

بدت رجولته أكثر وضوحاً في ظلال البحيرة، ما جعلها تشعر بحرارة بالغة بدلاً من تلك البرودة التي شعرت بها عند حضورها. فقالت تحاول التحكم بمشاعرها: «جئت إلى هنا، في الواقع، لأكون وحدي».

- لا تتصرفي كالأطفال!

ثم اندفع عائداً إلى الجهة العميقة في البركة بقوة بالغة، وهو يقول: «المكان فسيح ويتسع لنا نحن الإثنين. وأعدك بأن لا أتحدث إليك أو أتدخل بسباحتك بأي شكل. هل يرضيك هذا؟».

لا! ذلك لن يرضيها أبداً. لكنها شعرت وكأنها محاصرة بين الشيطان والبحر العميق الأزرق، أو على الأصح بين الشيطان وبركة السباحة العميقة.

كانت ما تزال في الوضعية نفسها عندما عاد إليها سابحاً وهو يقول بسخرية: «هل أنت خائفة من الذئب الكبير الشرير، يا صوفي؟ صدقي أو لا تصدقي، فقد سبق ورأيت نساء في ثياب السباحة من قبل. ومنظر جسدك رغم أنه يعدُ منحة جميلة في ليلة كهذه، لن يحوّلني إلى شخص مهووس، ستكونين آمنة تماماً».

يا له من رجل صعب! لكن سخريته السافرة دفعتها إلى اتخاذ قرارها. وعندما تحوّل مرة أخرى مبتعداً، لم تضيّع وقتها فألقت بنفسها في الماء. وعندما تلاشت صدمة برودة الماء الأولى، بدأت تشعر بمتعة السباحة. قامت بثلاث أو أربع جولات على طول البركة، متجاهلة بحزم ذلك الجسم الأسمر، الذي كان يروح ويجيء في الاتجاه المعاكس لها. وعلى كل حال،

مرّت عشر دقائق تقريباً وهي في بركة السباحة، وأندريس لا يتفوّه بكلمة. بعدئذٍ، أصبح الصمت ثقيلاً إلى حد شعرت معه بأنها ترغب بالصراخ لكي تكسر هذا الصمت المزعج. وبدلاً من ذلك، عندما وصلت إلى النقطة التي يلتقيان فيها الواحد بعكس الآخر، قالت له وهي تلهث قليلاً: «ظننتك ذهبت إلى بيتك، فقد سمعت صوت سيارة منذ فترة».

- كان ذلك سائقي قادماً ولم أكن أنا مغادراً.

- هل هو هنا أيضاً؟

وخيّل إليها للحظة أن قزماً سيطل برأسه من خلف الأجمة.

- أردت أن أعرض بعض الأوراق على أبي قبل أن يذهب إلى سريره، بدا لي من الأسهل أن يحضرها بول، كما أحضر لي بعض الملابس لأذهب إلى المكتب مباشرة عند الصباح.

قال هذا واستمر سابحاً في طريقه المعاكس لها. وفي المرة التالية التي مرّا فيها ببعضهما البعض، قال لها: «لا تُفرطي في ذلك في المرة الأولى».

- ماذا؟

وهذه المرة ابتلعت جرعة من الماء، فأخذت تلفظه من فمها قبل أن تقول: «كنت، في الواقع، أفكر لتوّي في الخروج من الماء».

بعيداً عن وجوده المقلق..

فقال أندريس على الفور: «وكذلك أنا».

- آه، لا بأس.

كانت ترجو أن تخرج برشاقة ثم تسرع إلى البيت بينما يبقى هو في الماء.

صعدت من البركة بسرعة، منتبهة إلى أندريس في الماء خلفها، وعندما تناولت منشفتها ولفتها حولها وجدت الشجاعة لأن تواجهه. لكنها دهشت وهي تراه ما زال في الماء وعلى وجهه الوسيم الخشن ما يشبه المرح. فسألته

بحذر، وهي لا تدري لما لم يخرج من الماء: «ماذا هناك؟».

– مجرد مشكلة صغيرة. ظننتني سأكون وحدي هنا.

وابتسم ببراءة، فحدقت فيه بحيرة. ماذا تراه يقول؟ وسألته: «ماذا تعني؟».

– لست مرتدياً ثوب سباحة.

قال هذا وكأنه يقرر حقيقة رائعة.

– ماذا؟

كانت إذن تسبح مع رجل عار! وليس أي رجل، بل أندريس كاريديس! وعادت تسأله: «هل تعني حقاً ما تقول؟».

وعندما أخذ يصعد من البركة قالت بسرعة: «إبق حيث أنت. أنا أعرف أنك تعني ذلك، فقط لم أعرف لماذا.. لماذا لم تخبرني منذ البداية».

– لأنك ما كنت لتنزلي إلى الماء وتستمتعي بالسباحة. أليس كذلك؟

أجابت ساخطة: «لا، ما كنت لأفعل ذلك».

ثم نظرت حولها بتوتر قائلة: «أين منشفتك؟».

– لم أحضر معي منشفة. لا تخافي فقد كنت ألبس رداء الحمام، وهو في مكان ما هنا. يمكنني أن أبحث عنه إلا إذا فضلت أن تقومي أنت بذلك.

وأشار إلى المناضد والكراسي عند آخر البركة.

– سأحضره لك.

وانحنت فوق البركة وناولته منشفتها وهي تضيف: «نشّف نفسك بهذه ثم لفها حول نفسك ريثما أحضر أنا الرداء. أرجوك، أرجوك».

لم تقف لترى إذا ما أطاعها أم لا، وإنما اندفعت إلى الظلال تبحث بعينيها عن الرداء، ما لبثت أن وجدته ملقى على كرسي، لكنها انتظرت دقيقتين قبل أن تعود أدراجها. بإمكان فريق كرة قدم أن ينشفوا أنفسهم في

هذه الفترة.

عندما عادت، كان أندريس جالساً على كرسي على شاطىء البركة وقد لفّ المنشفة حول وركيه تحت خصره، ومدّ ساقيه أمامه. وعندما وصلت كان وجهه مشرقاً بريئاً، وبادرها قائلاً: «هل وجدته؟ هذا عظيم».

وعندما رآها ترتجف قال لها: «أتشعرين بالبرد يا صوفي؟ البسيه أنت فأنا لا أحتاجه».

أتلبسه؟ أتلبس رداءه؟ هذا الرداء الذي يحمل رائحته الذكورية كأنه امتداد له هو نفسه؟ هل هو مجنون؟ كما أن ارتجافها لم يكن بسبب البرد...

فشبكت ذراعيها فوق صدرها قائلة: «أنا بخير، شكراً. دع المنشفة معك واتركها عند عتبة بابي في الصباح، فأنا عائدة إلى...».

فقاطعها: «اجلسي، يا صوفي. علينا أن نتكلم».

– إنه منتصف الليل، يا أندريس.

فقال بهدوء: «أظن أن هذا أفضل، نظراً لما سأقوله».

– لا أظن...

– لأجل الله، يا امرأة...

ونهض بحركة واحدة سريعة، ما جعلها تخاف من انزلاق المنشفة. بينما أخذ هو الرداء من يدها ولفه حولها قبل أن تستطيع الاحتجاج ثم قال: «والآن، إجلسي واصغي. أريد أن أتحدث إليك عن ثيودور، هذا أحد الأسباب الذي جعلني أبقى هنا الليلة. أبي يقول إن من المناسب أن تطلع جيل على كل الحقائق لكنه، وكذلك أمي، وجدا من الصعب أن يتحدثا عن هذا الأمر لأسباب ستعرفينها لاحقاً، ولهذا طلبا مني أن أخبرك بكل شيء. كنت سأطلب رؤيتك صباح غد قبل ذهابي إلى المكتب، ولكن ربما من الأفضل أن أخبرك الآن بصفة غير رسمية، وبعد ذلك يمكنك أن تخبري

أختك».

حدّقت إليه وهي تجلس، وقد شعرت بأن الأمر بالغ الخطورة، لكنها كادت تفقد تركيزها بسبب رائحته التي يعبق بها الجوّ من حولها. إلا أن الرداء كان دافئاً خلافاً للجو الخارجي، كما أخذت تحدث نفسها بصمت، متجاهلة السخونة التي راحت تنتشر في أنحاء جسمها والتي ليس لها علاقة بالقماش بل بكل ما يتعلق بأندريس كاريديس.

عاد أندريس يجلس، ثم أخذ ينظر إليها صامتاً للحظة أو أكثر قبل أن يقول بهدوء: «مما سأخبرك به ستكتشفين طراز الحياة الذي كان سائداً في اليونان، منذ أربعين أو خمسين عاماً. كانت السيادة للرجال حينذاك، وربما ما زالت كذلك في بعض القرى الصغيرة، حيث يحكم الأسرة أكبر أفرادها سناً وحيث دور المرأة محدود تماماً. ولدت أمي في قرية كهذه، قرية لصيد السمك تقع في الجنوب وعلى مسافة بعيدة من هنا».

ثم سكت قليلاً وراح ينظر إلى البعيد، فأدركت ما يواجهه من صعوبة في الكلام، فقالت: «أندريس، لست مضطراً لقول أي شيء».

وإذ به يقول بهدوء: «الأمر ليس بهذه البساطة، لسوء الحظ. لقد طلب مني أبي أن أخبرك بكل شيء. جيل هي زوجة ثيودور، ولهذا يجب الا نخفي عنها الأمر، رغم أن الأمر راجع إليها في أن تخبر ابنها أم لا».

وسكت لحظة ثم قال: «أمي امرأة جميلة جداً حتى في سنها هذا. وعندما كانت شابة كان جمالها غير عادي. أحبها رجل في القرية حيث كانت تعيش، لكنها لم تكن تحبه. وهكذا، انتظر فرصة سانحة لكي يحصل عليها. وذات ليلة، كانت وحدها في المنزل فقام باغتصابها، وكانت يومها في الخامسة عشرة من عمرها».

- آه، يا أندريس.

مهما كان ما توقعته، إلا أنه لم يكن بهذا الشكل، وبدا ذلك جلياً في

وجهها الذاهل.

- كان ذلك الرجل يملك مركبين لصيد السمك وكان بالنسبة إلى أسرة أمي زوجاً جيداً وميسوراً. وعندما ذهب إلى والد أمي وأخبره بما فعل، لأن الخجل منع أمي من أن تخبر أحداً بما جرى لها، اتفقا على أن يتزوجها على الفور. كما ترين، اعتبرت أسرتها أن العار يلحق بها وحدها، أما ذلك الرجل فكان يتصرف فقط كما على الرجل أن يتصرف.

بدت مرارته واضحة. ولم تقل صوفي شيئاً لكنها أدركت أنها ترى الآن ناحية من شخصيته القوية القاسية الصلبة لم تعرفها من قبل، وهي ناحية رقيقة ناعمة يمكنها أن تشعر بالألم. وتابع يقول: «بعد الاتفاق على الزواج يوم واحد، هبّت عاصفة هوجاء بينما كان مركبا الصيد في البحر، ما سبب موت شخصين، وكان ذلك الرجل أحدهما. سرّت أمي لموته، فقد كانت تكرهه، لكنها أدركت بعد عدة أسابيع أنه لم يتركها على كل حال، فقد اكتشفت أنها حامل منه».

- أتعني.. ثيودور؟

همست صوفي بذلك برعب، وهي تحكم من شدّ الرداء حولها.

- نعم، ثيودور أخي الأكبر. وبعد ذلك بثلاث سنوات، توقف يخت أبي ذات مساء في ميناء القرية. تلك السنوات الثلاث كانت جهنمية بالنسبة لأمي، فقد نبذتها أسرتها وجيرانها. ما سبب لها المعاناة والألم نتيجة خطيئة لم ترتكبها.

وأخذ نفساً عميقاً، ثم عاد يقول: «يومها، تعطل محرك في يخت أبي، فتوقف في القرية. ولاحظ أمي وهي تساعد في تعبئة السمك المصطاد ليلاً، دون رجل معها. فقد كان متوقعاً منها أن تقوم بكل شيء وحدها. وإذا بأبي يقع في الحب من النظرة الأولى، ولم يترك القرية حتى أقنعها بأن تتزوجه وتترك كل الماضي خلفها، ما عدا ثيودور طبعاً، فقد كانت شغوفاً بطفلها

بالرغم من ظروف حملها به. وهكذا أحضرها إلى الشمال مع ابنها. وكان غنياً بما يكفي ليؤمن لها بداية حياة جديدة في مكان تكون فيه محترمة بصفتها زوجته، كما ربّى ثيودور بصفته ابناً له».

قالت صوفي كأنها تحدث نفسها: «وعرف هو بالقصة.. عرف ثيودور بالقصة».

فأجاب أندريس: «نعم، عرف بالقصة. ولأنه ابن أبيه، نفّس غضبه وكآبته بأمه».

وعندما رآها تحملق به، أضاف يقول: «هل تظنينني قاسياً في الحكم عليه؟ كلا يا صوفي. أنا وثيودور لم ننسجم معاً أبداً، وعندما أخبروني عن رحيله إلى إنكلترا، عرفت سبب ذلك. كان دم أبيه يجري في عروقه حاراً قوياً، وفي حداثته كان عدوانياً، وغالباً ما تنتابه نوبات غضب مليئة الحقد وسوء النية نحو من يعترض سبيله. أظن أن تلك السنوات الثلاث الأولى من حياته بقيت في عقله الباطني. لا أدري.. لقد كان بالغ الكبرياء ويحب التملك».

- هل أخذ يلوم أمه؟

- آه، نعم. وذات ليلة تشاجر مع أبي بعنف بلغ حد التضارب. وحاولت أمي أن تفرق بينهما فأخذ يشتمها بكلمات لا يمكن الصفح عنها. ومنذ ذلك الحين لم تعد أمي إلى طبيعتها أبداً. بالرغم من كل ما عانته قبل زواجها من أبي إلا أنها ظلت قوية ولم تتحطم، حتى تلك الليلة. وهكذا، أعطى أبي مبلغاً من المال لثيودور ليفتح مطعماً في إنكلترا. ورحل ثيودور وتوسلات أمي ترنّ في أذنيه بأن يصفح عنها... يصفح عنها! هو الذي لا يستحق أن يلعق حذاءها.

- آسفة يا أندريس، لا أدري ما عليّ أن أقول.

- أنت لم تشعري بالمودة نحوه، أليس كذلك يا صوفي؟ ما كان بإمكانك

ذلك.

راح ينظر في عينيها مباشرة، وإذا برجولته الفياضة تغزو كيانها ما جعلها تلهث: «لا... إنه لم يعجبني».

فقال عابساً: «الحمد لله إن ميشيل لا يشبه أباه. عندما رأيت الصبي للمرة الأولى شعرت بالصدمة، فهو صورة عن أبيه. لكنني اكتشفت على الفور أن ميشيل، في داخله، بعيد عنه كل البعد».

وضع أندريس قبضته على صدره. فارتجفت من الداخل، وأحكمت شد الرداء حولها. ثم قال بهدوء: «قد تجدينني متصلباً نحو أخي، لكنني تعلمت منذ صباي الأول أن لا أمدّ يد الصداقة والمحبة إلى كلب مسعور، إلا إذا أردته أن يعضني. نحن الإثنان لم نحب بعضنا البعض أبداً، وهذا قبل أن يكتشف ثيودور حقيقة نسبه بوقت طويل. وعندما اكتشف ذلك، اجتاحه الغضب وشعر كأنني أخذت مكانه في الأسرة».

- قال ثيودور...

وسكتت فجأة غير واثقة من أن هذا الوقت مناسب لطرح الأسئلة. فسألها: «نعم ماذا قال ثيودور؟».

فأجابت مترددة: «قال إن الأسرة قاطعته لأنه تزوج جيل. بدا واضحاً أنكم تشاجرتم جميعاً قبل ذلك، لكنه لمّح إلى أن زواجه من جيل كان القشة الأخيرة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة إلى أسرته في اليونان».

فقال أندريس عابساً: «هذا غير صحيح. أنت رأيت أمي يا صوفي، أتظنينها بمثل هذا التزمت حقاً؟ كما أن أبي يعبد الأرض التي تسير عليها، ولطالما كان على استعداد ليقوم بأي شيء لكي يصلح الأمور مع ثيودور لأجلها. لا أخفي عنك أنه غضب غضباً شديداً من ثيودور بسبب موقفه من أمه. كلانا شعرنا بالغضب نفسه، ولكن أياً منا لم يتحدث عنه بالسوء أمام أمي. لقد أصيبت بالمرض الشديد بسببه، فقد انهارت أعصابها بعد

رحيله إلى إنكلترا. ولو عاش ثيودور لما نسي أبي هذا قط، حتى لو تمت المصالحة بيننا في المستقبل».

لقد وصف أندريس ثيودور بأنه مزهو بنفسه وحقود، لكن أندريس وأباه هما كذلك أيضاً، كما أخذت صوفي تفكر. وإذا بصوت خفي في داخلها يقول: ولكن موقفهما ذاك قد تشكّل من خلال حبهما للأم، وما فعله ثيودور بها، وهكذا فإن ثيودور سبب هذه الكراهية. أتراها تختلق الأعذار لأندريس؟ أذهلتها هذه الفكرة، فهذا أمر سخيف نظراً إلى الطريقة التي راحا يتشاجران بها منذ لحظة تعارفهما. لكنه في الواقع، ليس كما كانت تظنه تماماً. لم يعجبها مسرى أفكارها هذا، فقالت بسرعة: «أنا أصدقك طبعاً.. طبعاً أصدقك، فديميترا بالغة العذوبة، ولا يمكن أن تكون قد عاملته بشكل سيء».

فقال بهدوء: «إنها امرأة رائعة».

وقالت صوفي بلطف: «شكراً لأنك أخبرتني بكل هذا يا أندريس، وأنا واثقة من أن جيل ستتفهم الأمور، أظنها لن تجد من الضروري أن تخبر ميشيل الآن ولا في المستقبل، فربما من الأفضل أن يتذكر أباه كما يعرفه الآن، والذي هو ذكرى بعيدة في حياته. وميشيل، في الواقع، منسجم مع كريستوز، شريك ثيودور في المطعم، أكثر بكثير مما كان مع أبيه».

أومأ أندريس ببطء: «كان أبي قد اتصل بكريستوز وهو يقدر للرجل لباقته وحسن مراعاته وتفهمه. ومن حسن حظ جيل أن لديها في العمل شريكاً مثله».

بدا وجهه عابساً غامضاً، فمن المؤكد أنه لا يشعر بالارتياح لأنه يفشي كل هذا عن أبويه لامرأة غريبة. لكن هذا ليس ذنبها، كما أخذت صوفي تفكر قبل أن تنبه نفسها كي لا تكون حساسة إلى هذا الحد. إنها ليست كذلك عادة... لكنها منذ عرفت أندريس، بدأت تكتشف جوانب من

شخصيتها ليس لديها فكرة عنها. ولم يعجبها ذلك. ابتلعت ريقها بصعوبة قائلة: «من الأفضل أن أعود».

ثم وقفت والرداء ما زال مشدوداً حولها. فكرت في أن تعيده إلى أندريس، لكنها خافت من أن يعيد إليها منشفتها إذا هي فعلت. وهكذا فضلت أن تحتفظ به.

وقف أندريس لحظة وقوفها، فوجدت من الصعب أن تركز أفكارها على أي شيء عدا هذا الجسم القوي الباهر الذي أمامها. وسمعته يقول: «أرجو، بعد إبعاد هذه الأمور المؤلمة من الطريق، أن تستمتعوا أنت وجيل وميشيل بإقامتكم في بلادنا الجميلة».

جذبت نفساً عميقاً قبل أن تقول بصوت مرتجف: «شكراً».

فجأة، لم يعد وجهه عابساً. وفي الواقع، كان يحمل تعبيراً لم تره من قبل ما جعل أطرافها واهنة. وسمعته يقول: «هل أخفتك، يا صوفي؟ هل ما زلت ترينني تهديداً لك؟».

سألها ذلك برقة بالغة، بينما راحت خفقات قلبها تتسارع. حاولت أن تبدو صلبة لكنها فشلت بشكل محزن: «طبعاً لا. كما أنني.. لم أكن أراك تهديداً بالضبط».

وكان هذا كذباً!

- هذا حسن.

ابتسم ابتسامة بطيئة خطيرة. وأدركت أن عليها أن تهرب من هنا بأسرع ما يمكنها، لكنها لم تستطع الحركة. بدت عيناه بسواد الليل، فاشتبكتا بعينيها الزرقاوين المتسعتين لحظة، ثم هبط جفناها بنصف إغماضة عندما اقترب منها، وجذبها إلى جسمه الصلب، واضعاً ذراعاً حول ظهرها، ليعانقها برقة.

كانت تفوح منه رائحة الليل والمياه الباردة النظيفة وعندما ابتدأ رأسها يدور، غدا عناقه أكثر عمقاً، متجاوزاً الإقناع الذي كان يحاوله في البداية. ليصبح أكثر حرارة وتملكاً.

تشبثت يداها بعضلات كتفيه القوية، مع أن صوفي لم تتذكر كيف أصبحتا هناك، أو كيف أصبح جسداهما ملتصقين حتى لم يعد الابتعاد عنه ممكناً أكثر من الطيران إلى القمر. كان عناقه عميقاً وبطيئاً، ما أثار مشاعرها العميقة.

وفكرت صوفي أن لا شيء يمنعها من مبادلته العناق.

لكن هذا العناق... أفقدها إرادتها وعقلها، وأرسل المشاعر إلى كل أجزاء جسدها، هذه المشاعر التي لم تعرفها من قبل. وهذا أفقدها سيطرتها على نفسها بشكل خطير. إلا أن حسّ الحذر جعلها تقفز إلى الخلف مبتعدة عن حرارته، مطلقة صرخة ألم قصيرة. فإدراكها أنها توشك على تجاوز كل قاعدة ومبدأ عاشت لأجله طيلة الثمانية والعشرين عاماً الماضية، كان كافياً لإعادتها إلى رشدها. وصاحت به: «لا تلمسني».

جاء صوتها عالياً مذعوراً. وخلال اندفاع الإحساس بالخزي والمذلة الذي كان يدق في رأسها، سجّل جزء ضئيل من ذهنها أنه أطاعها على الفور، رغم الجوع البادي في عينيه والتوتر الواضح في عضلات جسده.

- لا أريد هذا! ليس هذا ما بقيت لأجله هنا. أنت الذي طلبت مني الإصغاء إلى ما تريد قوله عن ثيودور.

كانت تصرخ ضد نفسها أكثر منها ضدّه، تصرخ ضدّ الجنون الذي سمح لها بأن تفقد عقلها في اللحظة التي لمسها فيها. كان ذلك جنوناً، تهوراً.. ومع أندريس كاريديس. أندريس كاريديس من بين كل الناس! وهي التي لم تعرفه إلا منذ ساعات.

- صوفي، إصغي إليّ...

- لا! إياك أن تجرؤ على الاقتراب مني.

وبسبب اضطرابها وذعرها، قالت شيئاً لا يمكن الصفح عنه قبل أن تهرب منه، إذ قالت: «أنت مثلهما تماماً، مثل ثيودور ووالده، تفرض نفسك على امرأة لتنال ما تريده منها».

ثم هربت، بينما انزلق الرداء عن كتفيها وسقط على الأرض إلا أنها تابعت ركضها دون أن تهتم بملابسها التي أصبحت الآن خلفها. راحت تركض وتركض وكأن الشيطان في أعقابها، بل إن هذا ما كانت تشعر به بالضبط.

وأخيراً وصلت إلى غرفتها وهي تلهث وقد أدركت أنها جعلت من نفسها حمقاء. جلست على السرير وهي ترتجف بشكل لا إرادي، وتستعيد ذكرى الثواني الأخيرة التي أمضتها مع أندريس، وما صرخت به له. كيف أمكنها ذلك؟ كيف قالت له إنه مثل أخيه وذلك الرجل المجنون الذي أنجب ثيودور؟ أي شيء فظيع ألقته في وجهه؟ أمضت فترة من الوقت جالسة على حافة السرير وهي تستعيد في ذهنها ما جرى، وذلك قبل أن تلقي بنفسها عليه وتأخذ في بكاء لا ينقطع. وبعد أكثر من عشر دقائق، بعد أن أصبح وجهها أحمر ملطخاً وعيناها منتفختين، شعرت بأنها باتت تحدّق من خلال شقين، وأرغمت نفسها على الخروج من ينبوع اليأس العميق هذا. عليها أن تعتذر منه عما قالته في اللحظات الأخيرة. كان ذلك أشبه بكرة من رصاص في معدتها. لقد تفوهت بكلام قذر وقاسٍ، وغير صحيح على الإطلاق.

ما حدث بينهما لم يكن ذنبه وحده، فقد أرادته هي بقدر ما أرادها تماماً، إذا لم يكن أكثر. تأوهت لضعفها هذا وكرهت نفسها. بدا لها واضحاً أن أندريس من طراز الفتى العابث، أو ربما من النوع الذي يجتهد في العمل كما يجتهد في العبث. ومهما يكن، لم تكن هي أكثر من عابثة

بالنسبة إليه. وعلى كل حال، فقد قدمت نفسها له على طبق.

كان عليها أن تصغي بانتباه إلى حديثه عن تفكك أسرته. ثم تقدم مواساتها وتطمينها له بأن جيل لن تهز مركب كاريديس، وأن تتفعل برقة. لكنها بدلاً من ذلك . . . وعضت شفتها حتى شعرت بملوحة الدم. بدلاً من ذلك، استجابت لعناقه كأي امرأة تتلهف إلى إقامة علاقة معه. وفكرت فجأة أنه كان يقصد بعناقه هذا تحية ما قبل النوم، بينما راحت هي تتهمه بأنه ينوي استغلالها. آه، يا لها من فوضى!

وتأوهت، وتخللت شعرها بأصابعها بشرود قبل أن تنتصب ثم تنزل من سريرها. عليها أن تأخذ حماماً منعشاً، ثم تستلقي على سريرها وتضع على عينيها المتنفختين كمادة باردة. وإلا، ستظن الأسرة إذا نزلت إلى غرفة الإفطار في الصباح بعينين متورمتين، أنها قامت بعدة جولات ملاكمة مع أحدهم.

كانت صوفي قد اكتسبت سمعة بين زملائها في العمل بأنها باردة كالثلج، وأنها منيعة في تحكمها بنفسها. وهي تعمدت أن تقوّي تلك الصورة أثناء السنوات الأخيرة. فما الذي حدث أثناء الساعات الأربع والعشرين الماضية؟

ما حدث هو أنها التقت بأندريس كاريديس. بدا الأمر واضحاً ومقززاً للنفس، لكنها الحقيقة!

خلال الاستحمام، فكرت بالأمر ملياً، وعندما عادت إلى السرير واندست تحت الملاءات والكمادات الباردة على عينيها كانت قد صممت على أمر؛ غداً ستتصل بسكرتيرتها آني، وتطلب إليها أن تتصل بمنزل كاريديس بعد ظهر غد، قائلة إن صوفي مطلوبة حالاً للعودة إلى عملها في لندن.

لا بأس، ربما كان هذا احتيالاً، لكنها عرفت ما يكفي عن ديميترا

وايفانجيلوس ما يجعلها تتأكد من أن جيل وميشيل سيكونان بأمان هنا. وستبقى على اتصال دائم كي تتأكد من أن كل شيء على ما يرام بالنسبة إلى أختها. إنها لم تفعل شيئاً كهذا في حياتها قط من قبل، لكن الظروف المتطرفة بحاجة إلى إجراءات متطرفة، وإذا كان ثمة وضع متطرف حقاً فهو وضعها الآن. إنها تريد أن تبتعد عن أندريس قدر إمكانها، وإذا بدا هذا هرباً من المسؤولية، فلا بأس. . . فذلك أفضل من البقاء هنا، دون شك.

بعد أن اتخذت قرارها، خلدت إلى النوم وقد أنهكتها المشاعر.

www.elromance.com

٥ ـ محاربة ام جبانة؟

استيقظت صوفي صباح اليوم التالي على يدٍ رفيقة تلمس جبهتها وصوت جيل القلق يقول: «آه، يا صوفي. ألم يخفّ صداعك؟ لِمَ لم تقولي إنك تشعرين بالألم إلى هذا الحد؟ هل أحضر لك مسكناً؟».

كانت الكمادة ما تزال على وجهها لكنها أصبحت جافة الآن، ما شكّل تبريراً صامتاً، وإن يكن واضحاً، لانتفاخ جفنيها. وعندما جلست صوفي وأزاحت الكمادة عن عينيها أدركت من تحديق جيل إليها، أنها تبدو سيئة المظهر للغاية. وجعلها الشعور بالذنب تسرع في القول: «أنا بخير الآن، يا جيل. كان مجرد صداع يحدث في الأسفار والرحلات الجوية. سآخذ حماماً وأنزل معك لتناول الإفطار، أليس كذلك؟».

– انتهى وقت الإفطار، والآن تجاوزت الساعة العاشرة. لقد أحضرت لك صينية جهزتها كريستينا. ولكن لا داعي للعجلة، يمكنك أن تمضي الصباح في السرير إذا شئت. لقد خرج ايفانجيلوس وأندريس إلى المكتب، كما اصطحبت ديمترا ميشيل في نزهة على الأقدام حول المزرعة. وهكذا نحن وحدنا الآن.

– هذا حسن.

واحمر وجهها لذكر أندريس فانحنت بسرعة إلى الأمام، سامحة لشعرها بأن ينسدل على وجهها كي يخفي احمراره، بينما تشاغلت يداها بتسوية أغطية السرير. أما كيف ستواجهه مرة أخرى، فهذا ما لم تكن تعرفه.

– أليس المكان هنا رائعاً؟

قالت جيل هذا وهي تضع الصينية، التي تحتوي على كرواسون ساخن ومربى وعصير برتقال، على ركبتي أختها. ثم سارت إلى باب الشرفة ففتحته لتتدفق أشعة الشمس إلى الغرفة، ثم قالت: «لا أستطيع أن أتصور ما الذي جعل ثيودور يترك كل هذا. إن ديمترا وإيفانجيلوس غاية في اللطف، وكذلك أندريس. رغم أنه وثيودور لا يبدوان شقيقين أبداً».

لا بد أن صمت صوفي لفت انتباه جيل، لأنها استدارت ونظرت إلى أختها ملياً قبل أن تقول مترددة: «ماذا؟ ماذا هناك؟».

وذلك بعد أن رأت ما ارتسم على وجه أختها. فقالت صوفي بهدوء: «تعالي اجلسي. لدي ما أخبرك به، أو من الأفضل أن نجلس معاً على الشرفة ونتحدث».

وعلى الشرفة أعادت حديثها مع أندريس بحرفيته تقريباً. وعندما انتهت من الكلام بقيت جيل تحدّق للحظات طويلة إلى الحدائق الرائعة السابحة في أشعة الشمس، قبل أن تقول: «هذا يوضح الكثير».

فقالت صوفي بهدوء: «هذا ما أظنه».

– هذا يفسر سبب صعوبة معشر ثيودور، وكيفية زواجنا. كان مجنوناً بي منذ لقائنا الأول، تماماً كما كان أبوه مجنوناً بديمترا. تملكني الغرور حينذاك لأن رجلاً يحبني بهذا الشكل فأحببته في أيامنا الأولى.

فسألتها صوفي برقة: «وفي ما بعد؟».

– كان يخيفني. لم يكن يريدني أن أرى أو أكلم أو أفكر بسواه. حتى إنني أظنه كان يغار من ميشيل لأنه يأخذ بعض اهتمامي. لطالما ثارت غيرته إذا أنا تحدثت مطوّلاً إلى أحدهم عبر الهاتف، وفي تلك الحالة، لم يكن يجدي معه أي منطق، وقد تعود ميشيل أن يبقى بعيداً عنه.

– هل كان عنيفاً؟ أعني العنف الجسدي.

– لم يكن كذلك في البداية، ولكن بعد ولادة ميشيل . . . وفي النهاية بت أحاذر من أن أقول أو أفعل ما يكدره.

ها قد تحققت أسوأ مخاوف صوفي. حدقت في وجه جيل العزيز قبل أن تقول بهدوء: «لماذا لم تتركيه، يا جيل؟ أو تخبري شخصاً آخر عنه. لِمَ لم تخبريني أنا على الأقل؟».

فقالت جيل بفتور: «ما كان ليتركني أذهب. لو حاولت أن أتركه، لانتهى الأمر بمأساة. أنت لا تعرفينه يا صوفي. أما لماذا لم أخبر أحداً . . . فهناك أسباب كثيرة لكن أهمها هو أنني كنت أعلم أن ذلك لن ينفع بشيء، وقد يسبب ضرراً بالغاً لو علم بذلك. أنا لست مثلك، يا صوفي، أنا لست محاربة ولم أكن قط كذلك».

فقالت صوفي بدهشة: «لا أظنني محاربة!».

فابتسمت جيل بحزن: «بل أنت كذلك، ولهذا لم يحبك ثيودور. أدرك أنك كنت ستهزين المركب، وتستمري في ذلك حتى يقع هو خارجاً».

تحدثت الأختان فترة بعد ذلك، ثم خرجت جيل لتبحث عن دميترا وميشيل، بينما اغتسلت صوفي وارتدت ملابسها وبقيت جالسة في أشعة الشمس فترة طويلة بعد خروج جيل. كانت نظراتها مركزة على الحدائق الرائعة والنباتات الغزيرة وأزهارها البيضاء والوردية. لكن صوفي لم تكن تراها، في الواقع، بل كانت غارقة في أفكارها . . . هل ستنجب أطفالاً يوماً ما؟ حديثها مع جيل فجّر في أعماقها كآبة خفية غامضة. لم تستطع أن تتصور أنها ستمضي حياتها دون أولاد، ومع ذلك لم تكن قد تصورت نفسها قط مع ماثيو كوالدين لأطفالهما. لطالما سمعت نساء يقلن إنهن متلهفات إلى إنجاب أطفال من أزواجهن، لكنها لم تشعر بمثل ذلك قط مع ماثيو. هل كان ذلك خطأ؟

والآن، وبالرغم من متانة بنية أندريس وتصرفاته الرجولية العنيفة، يمكنها أن تتصوره محتضناً طفلاً بحنان بالغ. إلفته السهلة لميشيل كانت سريعة وعفوية. وفكرت صوفي أنه سيكون أباً طبيعياً، أندريس كاريديس أباً يحمل وليده . . . أن يكون لها طفل من أندريس . . .

زعيق خشن وكأنه صادر عن طاووس في مكان ما، جعلها تصحو مدركة ما كانت تحلم به في اليقظة. احمر وجهها لشعورها بالإهانة. قفزت واقفة ودخلت غرفتها. بدت ملامح وجهها جدية كالعادة، لكن شيئاً واحداً تغير هذا الصباح. ستكون تافهة إذا هي هربت عائدة إلى إنكلترا كأرنب مذعورة. لقد سمّتها جيل محاربة، وربما هذا صحيح ما دامت ترى الآن، على ضوء النهار أن فكرة الهرب ليست فكرة حسنة. لم تكن على طبيعتها الليلة الماضية، لكن الليلة الماضية مضت واليوم هو يوم جديد، وستصبح الأمور مختلفة حتماً.

أندريس كاريديس مجرد رجل كغيره من الرجال. وقد ضخمت هي الأمور بشكل لا موجب له. عندما تراه مرة أخرى، هذا إذا رأته، ستقدم إليه اعتذاراً بارداً عمّا قالته له تلك الليلة، وسوف توضح له جيداً أنها لا تنوي أن تكون من الحماقة بحيث تسمح لما حدث بينهما أن يتكرر. الأمر بسيط، كما أخذت تطمئن نفسها وهي تعد لنفسها حماماً دافئاً. لا حاجة إلى أمور مسرحية مثيرة، كالعودة فجأة إلى إنكلترا أو أي شيء آخر. فهي امرأة ناضجة كفوءة يمكنها أن تعالج أي عقبة تواجهها بها الحياة. وقد يكون أندريس عقبة كبيرة مزعجة، لكنها لن تلبث أن تتجاوزها كسواها من العقبات.

أمضت النساء الثلاث وميشيل أمسية كسولاً بعد أن تناولوا غداءاً خفيفاً بجانب بركة السباحة، تبعاً لإصرار دميترا وجيل، اللتين اتفقتا أن على صوفي أن ترتاح بعد ذلك الصداع الذي عانته الليلة الماضية.

بعد غطستين في البركة، ارتدت صوفي قميصاً قطنياً رقيقاً أبيض وتنورة طويلة ملائمة. ورغم تجنبها أشعة الشمس، غدا لون بشرتها وردياً. واتخذت من ذلك عذراً لستر جسدها، إلا أنها فكرت في الحقيقة أن أندريس قد يزورهم قبل الذهاب إلى بيته. وإذا حدث هذا فهي تريد أن تكون مختلفة قدر ما يمكنها عن تلك الفتاة التي قابلها عند البركة في ظلمة الليل.

استلقت على أحد المتكآت المستطيلة، وراحت تتفرج بكسل على ديميترا التي كانت تلعب مع ميشيل في الجهة الأخرى من بركة السباحة. أما جيل فقد كانت مستغرقة في النوم على متكىء آخر مستطيل بجانبها. لم تدرك أنها مغمضة العينين، لكن لا بد أنها استغرقت في النوم معوّضة ما فاتها الليلة الماضية من راحة، لأنها عندما استيقظت من نومها العميق، رأت أن الشمس لم تعد في كبد السماء الزرقاء بل أصبحت مائلة نحو الغروب، وقد احتل أندريس متكأ بجانبها.

فتحت عينيها جيداً وحدقت إليه لحظة، ثم حملقت فيه فجأة وهبت جالسة. لم تبد ابتسامة على وجهه وهو يتأملها، بل بدا وجهه الوسيم بارداً جامداً، أما هي فأخذت تتلعثم قائلة: «أنا... أنا، لا بد أنني استغرقت في النوم... ماذا... أين جيل وميشيل؟».

- إنها السابعة، وقد تناول ميشيل الشاي وأمه تعدّه للنوم.

لاحظت أن جواً من الكآبة يحيط به، وبدا غريباً للغاية. قميصه الرسمي وربطة عنقه المحلولة، وكذلك بنطلونه، كل ذلك دلّها على أنه ما زال في ملابس المكتب. كانت ياقة قميصه مفتوحة تكشف عن عنقه البرونزي، ولاحظت أن لون عينيه الرمادي يبدو أقرب إلى السواد، كما تشع منهما نار تنبىء بشعور ما. لا شك أنه غاضب منها، بعد ما قالته الليلة الماضية. لم تتوقف لتفكر بل بادرته قائلة: «أريد أن أعتذر لما قلته الليلة الماضية، يا أندريس. لم يكن ذلك صواباً ولا صحيحاً. فأنت لا تشبه أبداً ثيودور».

بقي لحظة صامتاً، ثم تحرك في مقعده ومدّ ساقيه: «شكراً. لن أتجادل معك».

نبرة صوته دلت على ما يشبه الجفاء، لكن صوفي شعرت بالارتياح لأنه لم يكن صعباً: «كنت الليلة الماضية متعبة جداً، ولم يكن تفكيري مستقيماً».

- فهمت.

ونظر إلى شعرها الأشقر الناعم، وبشرتها التي لوّحتها الشمس، ووجدت نفسها تحمرّ خجلاً، رغم الجهد الذي بذلته كي تبدو لا مبالية ومتحكمة في نفسها. ثم قال: «أما أنا فلم أكن متعباً، وتفكيري لا غبار عليه، فأردت أن أعانقك. منذ اللحظة التي رأيتك فيها في المطار، وأنا أرغب بمعانقتك».

حدّقت إليه باستغراب قائلة: «اسمع، يا أندريس، أنا هنا لأصحب جيل، وهذا كل شيء».

قالت هذا بسرعة، شاعرة بالارتياح لأن صوتها بدا أكثر حزماً مما توقعت. فنظر إليها بخشونة: «هل أفهم من هذا أنك تخبرينني بأن لا تكرار لليلة الماضية؟».

تملكها الارتياح لسهولة مرور الأمر وقالت: «بالضبط. وأنا آسفة».

تحوّل تقطيبه إلى هزل مزعج أثّر على أعصابها حين قال: «أنت لست آسفة على الإطلاق، لأنك تحاربينني منذ البداية. أليس كذلك؟».

جيل أولاً، والآن أندريس.. هل كلمة «محاربة» مدموغة كوشم على جبينها؟ وقالت بحذر: «لا، أبداً. أعترف بأننا لم ننسجم معاً. ولكن، هذه هي الحياة».

فانتصب في جلسته قائلاً: «ما هذا الكلام الجهنمي؟ ألا تلاحظين الأحاسيس التي تشعرين بها؟ ليست المسألة أننا لم ننسجم، يا صوفي، بل المسألة هي أننا انسجمنا إلى حد لم يتمكن عقلك من مواجهته. لكن جسدك، على كل حال، يعرف بالضبط ما يريده».

لم تستطع أن تصدق أنه يقول لها هذه الأشياء بلهجة واقعية. حملقت فيه وقد تصلّب جسدها، وبدا الهياج في ملامحها وقالت: «ما تقوله مثير للسخرية، وأنت تعلم هذا».

- لا، بل هي الحقيقة، سواء شئت ذلك أم أبيت.

- لكنني أرفضها تماماً، كما أنني أرفض أن تعتبرني من ذلك النوع من النساء اللواتي يقمن علاقات مع الرجال دون حساب.

فقال غير مصدق: «وهل تفترضين أن هذا رأيي فيك، فقط لأنني عانقتك؟».

- لا.. نعم.. أعني... لا أريد أن أتحدث عن ذلك.

قالت هذا بحرارة وهي تلمّ شتات كرامتها الممزقة ثم تقف معلنة: «أنا ذاهبة للاستعداد للعشاء. الوداع يا أندريس».

- أنا مدعوّ لتناول العشاء هنا. هل هذا يناسبك؟

قال هذا بوداعة مريبة، فقالت بتكلف: «هذا منزل والديك، وأنا لا أحلم بأن أقترح عدم بقائك. يجب أن تتصرف كما تريد».

- شكراً يا صوفي.

قال هذا وهو ينظر إليها بتسلية تكاد لا تخفى. كان قد نهض معها. والآن، شعرت بيده على مرفقها، فجذبت نفساً عميقاً، ثم أرغمت نفسها ألا تظهر أية ردة فعل للمسته وهما يسيران نحو المنزل، رغم شعورها بالحيوية والقوة تتدفقان من أنامله فيدب الشوق في كيانها. أرادت أن تنفض يده عن مرفقها، لكن ذلك سيبدو غباءً فاحشاً. وهكذا ركزت اهتمامها على خطواتها، متجاهلة ما يفعله قربه منها لهدوئها النفسي. بعد قليل قال لها أندريس دون النظر إليها: «ملابسك في سيارتي، لم أجد من الحكمة أن أتركها بجانب بركة السباحة كي لا تثير التساؤل، لا سيّما أنك تركت

العشاء مبكرة. لكنني خشيت إن أنا صعدت لأعيدها إليك الليلة الماضية أن... يزعجك ذلك».

هيه! كادت أن تسمع ضحكة خفيّة في صوته وكان وجهها جاداً وهي تقول: «شكراً».

قالت هذا بلهجة لاذعة جعلته يرفع حاجبيه بتأنيب صامت. وفكرت صوفي أنه يتعمد إثارة غضبها، وهو يتمتع بذلك، يتمتع به تماماً. ولكن، على الأقل سخريته الهادئة هذه، أرسلت زهواً حاراً فاض في كل عصب من أعصابها، ما جعلها تعود إلى البيت برأس مرفوع وظهر منتصب.

كانت صوفي تضع اللمسات الأخيرة من زينة وجهها، عندما دُقّ بابها. وكانت جيل قد سبقتها إلى غرفة الطعام منذ بعض الوقت، بعد أن طلبت صوفي منها ذلك. شعرت صوفي بالسرور لرؤيتها تلبي طلبها دون تردد، ما يعني أنها استعادت ثقتها بنفسها. والآن ظنت أن أختها جاءت تستعجلها. فصاحت بمرح: «لا بأس، لا بأس، أنا جاهزة. لا تقلقي».

ثم سارت نحو الباب تفتحه.

كان أندريس مستنداً إلى الجدار المقابل بكسل. ورغم أن الليلة الماضية نبهتها لما سيكون عليه هذا الجسم الكبير حين يرتدي بذلة المساء، شعرت بأن عليها أن تجذب نفساً أو اثنين قبل أن تستطيع القول: «آه، آسفة. ظننت أن جيل جاءت تستعجلني».

بدا خداها متوردين، فقال وهو ينحني ليلتقط كيساً من بين قدميه، ثم يناولها إياه بهدوء والسخرية بادية في وجهه: «هذه ملابسك».

بدا لون بشرته البرونزي وشعره الأسود أكثر دكنة مما رأتهما قط إزاء لون الجدار التبني. كما بدا بالغ الرجولة، ما جعلها تشعر بتشوش في أفكارها. وتملكها الغضب من نفسها، لأنها أخذت ترتجف دون أن تعلم السبب. ثم أخذت الكيس منه وسارت لتضعه على كرسي وهي تقول: «

شكراً. أنا جاهزة الآن».

وعندما استدارت، رأت أنه يقف عند العتبة. تباطأت نظراته على عنقها الذي أصبح الآن عسليّ اللون بتأثير أشعة الشمس، بينما بدت هي نحيفة، بالغة الرقة في ثوبها ذي اللون الأزرق الباهت. قالت لاهثة إزاء نظراته تلك: «ألن يبدو الأمر غريباً نوعاً ما إذا ما ذهبنا معاً؟ ربما من الأفضل أن أنتظر بضع لحظات، ثم أتبعك».

- لا أحب ذلك.

لم يبدُ صوته عدائياً، بل ظهرت فيه تلك البحة الرقيقة التي راودت أحلامها الليلة الماضية.

- لكنهم قد يتساءلون.

- صوفي، والداي وجيل لديهم أمور أهم من التساؤل عما يجعل اثنين يدخلان غرفة المائدة معاً.

عندما هبطا السلم معاً، اختلست نظرة إليه، لكن الوجه الصلب لم يكن يكشف عن أي شيء. الجبهة القوية، الحاجبان الأسودان، والأنف المستقيم النحيل والذقن المربعة... لا بد أن قسماته تلك كلّها قُدّت من الصوان. غصت بريقها قبل أن تحوّل نظرها بعيداً. إذ إن ذكرى ذلك العناق الذي تبادلاه ظلت ترافقها طوال النهار، إن لم يكن في عقلها الواعي ففي عقلها الباطن. ربما كرهت ذلك العناق، لكنها لم تستطع الخلاص منه. ما زالت تتذكر إحساسها حين ضمّها إلى جسمه الكبير القوي هذا. أما الآن، وهما يسيران معاً، فقد عاد الشوق يسري في كيانها لقربها منه... وعضت شفتها بقوة بعد أن شعرت بمزيج من الاشمئزاز من النفس والضيق، ما جعل فمها يتوتر. بدا أندريس غافلاً تماماً عن سحرها المفترض، مع أنه قال لها ليلة أمس بجانب البركة إن شعوره نحوها يوازي شعورها هي نحوه. ماذا يعني هذا إذن؟ هل بإمكانه أن يتحكم في نفسه أكثر

منها؟ وجعلها هذا تندفع أمامه إلى غرفة الطعام وقد تصلب ظهرها وضاقت عيناها، وقبل أن يلتفت الآخرون إليهما من حيث كانوا يقفون عند الفناء الداخلي ليطلبوا إليهما الالتحاق بهم، كانت قد استعادت سيطرتها على نفسها، ما جعلها تظهر بملامح مقبولة.

كانت وجبة الطعام رائعة كالليلة السابقة تماماً، كما بدت الأحاديث أفضل بعد أن استعادت جيل ثقتها بنفسها فاشتركت فيها. ولم تكن صوفي قد تذوقت من قبل معظم الأطباق اللذيذة التي وضعت أمامها، ما يدل على أن كريستينا هي طاهية ماهرة. راحت ديميترا تشرح بصوتها الرقيق مميزات كل من هذه الأطباق وكيفية طهوه.

بدا الجوّ ثقيلاً رطباً بالنسبة إلى جوّ الليلة الماضية. وعندما اقترحت ديميترا أن يتناولوا القهوة في الفناء الداخلي ليستفيدوا من النسيم القليل هناك، وافقوا جميعاً. وعلى الأخص صوفي التي كانت متشوّقة إلى تغيير المناظر. بدا الجوّ في الخارج أبرد قليلاً ومظلماً تقريباً. كما بدت السماء المظلمة وكأنها خُططت باليد باللونين الفضي والبنفسجي القاتم، وقد ملأت رائحة الورود المتعرشة على جدار المنزل الخلفي الجوّ، ووجدت صوفي أعصابها تسترخي بارتياح، نوعاً ما، وهي ترشف قهوتها وتصغي إلى ثرثرة الآخرين.

كانت كريستينا قد دخلت لتوّها وسكبت مزيداً من القهوة لهم، عندما قالت جيل: «أرى أن أذهب لأطمئن على ميشيل قبل أن أشرب قهوتي».

والتفتت إلى حماتها تسألها: «أتحبين أن تأتي معي؟».

وكانت ديميترا قد رافقت جيل للاطمئنان على ميشيل، وتأثرت جيل كثيراً للوقت الطويل الذي أمضته ديميترا في مراقبة حفيدها وهو نائم. عندما وقفت المرأتان، نهض الأب بدوره مخاطباً: «سأقوم أنا بذلك الاتصال الهاتفي إلى آثوس لتثبيت تواريخ الشحن الآن، ولن أتأخر».

وقبل أن تطرف عين صوفي، وجدت نفسها وحيدة مع أندريس في هذا الجوّ الدافىء المعطر. لم تنتبه إلى أنها تململت بضيق إلى أن قال الصوت الأبح بجانبها برقة: «ارتاحي، يا صوفي، فأنا لن أهاجمك إذا كان هذا ما تخافينه».

واقترفت غلطة حين التفتت إليه، فإذا باللمعان الساخر في عينيه يخبرها بوضوح بأنه مسرور للغاية باضطرابها هذا.

- لا تكن سخيفاً.

قالت هذا بجفاء، متمنية لو أن بإمكانها أن تجد جواباً أكثر حدة لتجعله يلزم حده. وإذا به يسألها بهدوء: «هل عليّ أن أشنق وأغرق وأقطع إلى أجزاء، لأجل عناق؟».

اعترفت لنفسها بصمت بأن لا معنى لما يقوله، مع أنها تدرك، مثله تماماً، أن ثمة تياراً كهربائياً قوياً قد تحرك بينهما منذ اللحظة التي عانقها فيها.

قال أندريس بفتور: «أنت مصممة على أن لا تكوني لطيفة مثقال ذرة، أليس كذلك؟ وضعتني في موقع المغازل الأثيم، وهذا يجعل من السهل عليك تجاهل الحقيقة».

سألته بحذر، متسائلة عما سيأتي بعدئذ: «ماذا تعني؟».

- الحقيقة التي أدركها جسدك منذ اللحظة الأولى لتعارفنا. وهي أننا منسجمان بشكل لا يحدث مع حبيبين إلا نادراً.

ونظر إليها يتحداها أن تنكر ذلك. فقالت بسرعة وقد احمر وجهها: «نحن لسنا حبيبين، ولا يمكنك أن تقول ذلك باعتبار أننا حتى لم . . . لم نعرف بعضنا البعض جيداً».

- أنا أكثر من راغب في تجربة نظريتي.

عرض عليها ذلك وهو يستند إلى الخلف، ويضع ساقاً فوق الأخرى، وهو يشملها بنظرات ضاحكة بينما تبدو ملامحه جادة تماماً. فصرفت صوفي بأسنانها: «يا لشهامتك! ولكن، إذا لم يكن لديك مانع، أنا أرفض عرضك السخي».

راح أندريس يضحك، ولم تعجبها المشاعر التي غمرتها وهي ترى ملامحه الصلبة تسترخي وترق.

راح يحدق إليها لحظة، قبل أن يقول بلطف وقد تلاشت التسلية من ملامحه: «هل تعرفين أن لك أجمل عينين رأيتهما؟ لونهما البنفسجي أعمق من لون عيني جيل. كما أن شعرك مختلف أيضاً، فهو أكثر شقرة من شعرها، إنه فضي تقريباً، أشبه بأشعة القمر. أنكما لستما متشابهتين».

كان من القرب منها بحيث غمرتها هالة الرجولة المنبثقة عنه. فقالت بعد لحظة حاولت فيها أن تتصنع المرح: «لا خوف إذن من أن تخطىء بيننا!».

وحاولت أن تسلخ نظراتها عن نظراته.

- لا، على الإطلاق.

ثم أمسك بيدها وكأن له الحق في ذلك. وعندما حاولت غريزياً أن تسحب يدها من يده، قبض على أصابعها وأخذ يلامس بشرتها قائلاً: «ناعمة كالحرير. إنها بشرة شفافة رائعة».

ثم رفع يدها إلى شفتيه يتلمس بشرتها لحظة، فسرى حس من الشوق في ذراعها. وعندما جذبتها هذه المرة، تركها، ثم عاد فاتكأ إلى الخلف ناظراً بعينين ضيقتين إلى وجهها المتوهج. عقد ذراعيه على صدره ثم قال بهدوء وكأن شيئاً لم يحدث: «تعالي معي لتناول العشاء مساء الغد، نحن الإثنان فقط. أعرف مكاناً صغيراً، سيعجبك جداً، بالقرب من البحر».

هل هو مجنون؟ وضعت يديها في حجرها وأخذت تحدّق إليه ورأسها يدور قبل أن تقول: «لا، شكراً».

- ولِمَ لا؟

إنه يعرف جيداً لما لا. وقالت متحدية دون لباقة: «لا أريد ذلك».

- هذا ليس جواباً. أعطيني سبباً. هل أنت خائفة من البقاء وحدك معي.. فأرة إنكليزية صغيرة؟ أتظنين أنني سأستغل ذلك؟ أم أنت.. ربما تخافين من نفسك؟ هيه! هل هذا هو الأمر؟

إنه على صواب تماماً، لكنها تفضل السير على الجمر على أن تعترف بذلك. فقالت بعناد: «أنا هنا لألازم جيل لا لأخرج مع هذا وذاك بحثاً عن المتعة».

- انسي مسألة (هذا وذاك) لحظة. تقولين إنك لن ترافقيني إلى العشاء غداً لأجل جيل ومسؤوليتك نحوها؟ هل هذا هو السبب؟

وأخبرتها ملامحه بوضوح بالغ عن رأيه في ذلك. حملقت فيه لكنها نجت من الارتباك في الجواب بفضل عودة الثلاثة الغائبين. وهتف إيفانجيلوس قائلاً: «إنها ليلة للجلوس والسمر بينما نقوّم العالم على الطريق الصواب. أليس كذلك؟».

- آسف، ولكن لا.

ثم نهض أندريس ووقف بكسل وهو ينظر إلى الآخرين باسماً: «علي أن أراجع بعض الأوراق الليلة في بيتي، وبول ينتظرني في الخارج. لقد أخبرته أننا سنغادر الساعة العاشرة والنصف».

- العمل ثم العمل.. ألا وقت لديك للهو؟

قالت ديميترا لابنها ذلك باسمة، فيما بدا الرباط القوي بينهما واضحاً. فرد عليها أندريس بجفاء: «لم تكن هذه قط إحدى ميزاتي... أو عيوبي. هذا يعود إلى الطريقة التي تنظرين بها إلى الأمر، ولكن يبدو أن ذلك ملائم أكثر بالنسبة إلى صوفي. أتعلمين أنها رفضت أن تكون ضيفتي عند «بالليني»

غداً لأنها هنا فقط لمرافقة جيل؟».

يا للجرذ القذر المهترىء! فوجئت صوفي بالأمر الواقع فلم تستطع أن تقول شيئاً، وهي ترى الآخرين يصيحون على الفور مصرّين على القول بأن عليها أن تخرج للسهرة والترفيه عن نفسها، رافضين أن يسمعوا كلاماً آخر. وقالت لها جيل بنبرة جادة: «أنت لست بحاجة إلى أن تبقي بصحبتي، يا صوفي، تعلمين ذلك».

وقالت ديميترا: «أرجوك، يا صوفي، أرجو أن لا نكون قد جعلناك تشعرين بأنك هنا لمجرد مهمة ثانوية، إننا نحب أن تجلسي معنا، يا عزيزتي، لكنك حرة تماماً في أن تذهبي وتأتي كما تشائين. ونحن نعدك بأن نهتم بجيل جيداً».

إيفانجيلوس وحده بقي صامتاً وعيناه الداكنتان على وجه ابنه، بينما راح هذا الأخير يبتسم ببساطة ويقول: «كما ترين، يا صوفي، هذه إجازتك أيضاً، وستشرفينني جداً بالسماح لي بأن أريك اليونان الحقيقية أثناء وجودك هنا، ابتداء من مساء الغد. ماذا قلت؟».

لقد حشرها في الزاوية، ولا سبيل أبداً إلى الخروج من هذا المأزق دون الكشف عن أنهما متخاصمان، وعندئذ سيتكدر الجميع ويسود الجوّ التوتر. إذا كان هناك رجل ماكر مخادع منافق، فهو أندريس كاريديس. كما أخذت صوفي تفكر غاضبة وهي تجاهد كي لا تفضح مشاعرها. وانحنت تتشاغل بعقد رباط حذائها الخفيف، متظاهرة بأنه أفلت. وذلك لكي تخفي التواء ملامحها وهي تناضل كي لا تصرخ في وجهه تشتمه. من يظن نفسه حتى يحتال على الجميع بهذا الشكل مدعياً المهارة؟ ومضت أكثر من نصف دقيقة قبل أن تتحكم بملامح وجهها وصوتها لتسأله: «متى تريدني أن أكون مستعدة؟».

أجاب أندريس بسهولة والظرف ينضح من وجهه: «هل تناسبك

الساعة السابعة والنصف؟ كما أن الملابس عادية ولا حاجة لملابس العشاء الرسمية في «باللّيني»، إلا إذا شئت أن تذهبي إلى مكان رسمي».

فأجابت بصوت أجوف: «لا بأس بالنسبة إلى «باللّيني».

ثم تساءلت عما سيحدث لو قذفت بقية قهوتها الباردة في وجهه.

– إلى السابعة من مساء الغد، إذن.

وابتسم لها، ثم وأومأ للآخرين، وقبّل أمه على جبينها، قبل أن يخرج من البيت تاركاً صوفي في حالة ذهول وهي تصغي إلى حديث الآخرين. وعندما أصبح خارج البيت سمعت صوته مرة أخرى وهو يتحدث إلى سائقه بول، قبل أن تسمع صوت السيارة وهي تبتعد.

حسناً، لا بأس يا أندريس، كما أخذت تفكر غاضبة. ربما أتعشى معك الليلة القادمة، ولكن ذلك سيكون كل شيء. إذا كنت تظن أن بإمكانك أن تديرني بإصبعك الصغير كما تفعل مع الأخريات، فانتظر الصدمة القادمة. وقطبت جبينها، وإذا بشيء يدفعها إلى رفع بصرها، فرأت والد أندريس يراقبها، وقد ضاقت عيناه الشبيهتان بعيني أندريس، وبدا عليه التفكير. أرغمت صوفي نفسها على الابتسام وألقت بملاحظة فرحة عن الحدائق الجميلة، وعلى الفور تحول إيفانجيلوس إلى شخصية المضيف الحريص على الإرضاء. ومرّت اللحظة الحرجة بسلام. ولكن بعد حوالي الساعة، عندما نهض الجميع للذهاب إلى غرفهم، أمسك إيفانجيلوس بذراعها بعد أن ترك ديميترا وجيل تسبقانهما: «لقد ضايقك».

قال هذا بهدوء، مقرراً أمراً واقعاً، وليس سؤالاً. إذ لم يكن بحاجة إلى أن يذكر اسم أندريس.

فكرت صوفي بالمراوغة، لكنها، بشكل ما، وإزاء عيني ايفانجيلوس الرقيقتين المركزتين على وجهها، وجدت تلك فكرة غير نزيهة فقالت: «نعم، هذا ما حدث».

قالت هذا ببساطة وهما يقفان في وسط غرفة الطعام ينظران إلى بعضهما البعض، وسألها: «ألا تريدين أن تذهبي إلى العشاء مع أندريس؟ أظنك ستستمتعين بوجودك في «باللّيني»».

لم يكن في سؤاله إدانة وإنما مجرد دهشة رقيقة. وسألت نفسها، هل تريد أن تكون معه؟ بدت لها الفكرة سارة من ناحية، لكنها، وبسبب ذلك الشعور بالخطر الذي استحوذ عليها، لم تستطع تجاهل التوتر الذي سببته لها تلك الفكرة، كما أن استعمال المكر معها بذلك الشكل قد أصاب منها وتراً حساساً، إلى حد تمنت معه لو تقذف بعشائه في وجهه! تلك المشاعر كلها بدت غريبة عنها وهي في العادة المرأة الهادئة المنضبطة الواقعية، بحيث ظنت أنها لم تعد تعرف نفسها. وهكذا توصلت إلى أنها لا تريد الذهاب لتناول العشاء مع ابن إيفانجيلوس.

ومرّت دقيقة قبل أن تقول: «أفضّل أن أقرر مثل هذه الأمور بنفسي».

وأدركت الآن أنها استطاعت أن تتجنب جواباً مباشراً، إذ قال الرجل بلهجة اعتذار: «يمكنني أن أتفهم ذلك، أندريس هو ملحاح أحياناً عندما يصمم على شيء».

لا بد أن ملامحها كشفت عن أفكارها، لأن إيفانجيلوس سرعان ما أخذ يقهقه بصوت خافت، وبدت التسلية التي على وجهه في صوته وهو يقول: «من المفيد لأندريس أن لا تتحقق رغبته ولو مرة. لقد اعتاد...».

وسكت فجأة ثم قال: «عفواً يا صوفي، هل لي أن أتحدث بصراحة؟ اعتاد ابني أن تطارده النساء بدلاً من أن يطاردهن. هل عرفت ما أعنيه؟ إنه غني ووسيم، وهذا مغنطيس يجذب بعض النساء إليه، بل أكثر النساء».

حدّقت صوفي في الرجل، وهي لا تدري ما إذا كان والد أندريس يحذرها من ابنه أم العكس، بينما تابع هو: «وهذا ليس حسناً بالنسبة لرجل له طبع أندريس، لأنه ينتج فيه شعوراً بالاحتقار لأولئك النساء. إنه رجل

بالغ الذكاء ويسأم بسهولة إذا ما تقربت إليه امرأة عن طريق التملق والخداع».

أومأت صوفي موافقة. نعم، يمكنها أن تتفهم هذا، فالثروة والامتيازات لها مشاكلها أيضاً. وقطبت جبينها، ثم قالت بهدوء: «لا أفهم تماماً لماذا تخبرني بكل هذا. أنا لا أنوي أبداً أن أشبع غرور أندريس. ولو كان آخر رجل على وجه الأرض!».

ربت الرجل على ذراعها بشكل أبوي ثم قال: «أعلم هذا، يا عزيزتي. أنا فقط أشرح سبب فقدان ابني . . . الإحساس هذا المساء».

- لا بأس.

لكنها لم تفهم تماماً إلى أين يقود هذا. وعندما حاولت أن تتركه، أوقفها للحظة أخرى: «هناك شيء أريد أن أضيفه يا صوفي، لقد نال أندريس حصته من الألم وخيبة الأمل. وهذا، بالإضافة إلى ما سبق وقلته، أنتج سخرية لاذعة أحزنني أن أراها. إنه رجل طيب، طيب للغاية، لكن شخصيته معقدة».

هذه الأسرة بأكملها معقدة، معقدة إلى حد تمنت معه لو أنها لم تطلب مرافقة جيل إلى هنا. ورسمت صوفي ابتسامة على فمها بشيء من الجهد ثم قالت بهدوء: «أظننا جميعاً معقدين خلف الواجهة التي نواجه بها العالم».

فتمتم بهدوء: «علينا أحياناً أن نجاهد لكي نحصل على حظنا. هذا عصر الإرضاء السريع، الوجبات السريعة، الكسب السريع، العلاقات السريعة. لكن العلاقة التي تستحق أن يتخذها الإنسان لا تحدث دون عمل وجهد متواصلين».

حدّقت إليه مستفهمة، ولكنه أمسك بذراعها يقودها إلى الردهة حيث كان الآخرون ينتظرون.

وفي ما بعد وهي مستلقية على سريرها تحدق في الظلام، شعرت أنها

أكثر اضطراباً وانزعاجاً من أي وقت مضى. شعرت أن هناك خطأ ما. ومع ذلك، لم تستطع أن تضع أصبعها على ما يزعجها بهذه الحدة. قطبت جبينها في العتمة، وانقلبت على جنبها متأوهة، ثم أغمضت عينيها بعزم.

www.elromancia.com

٦ ـ سحر وبحر و.. عناق

لم تستطع صوفي النوم بارتياح، كما أنها لم تستطع أن تتذكر أياً من تلك الأحلام المقلقة التي أزعجتها أثناء الليل. كل ما تذكرته عندما استيقظت في الصباح، هو أن تلك الأحلام كانت مزعجة وكئيبة.

اغتسلت وارتدت ثيابها وأثناء تناولها الفطور مع جيل وميشيل ووالدي أندريس، تصرفت وكأن لا شيء يشغل بالها، بعدئذ ذهبت مع ميشيل في نزهة استكشافية للأراضي، ولعبا معاً شوطين بكرة المضرب ثم أمضيا بقية الصباح في بركة السباحة. بينما ذهبت جيل وديميترا للتسوّق مع إيفانجيلوس. وكانت الدعوة للتسوّق موجهة إلى صوفي وميشيل أيضاً، ولكن نظرة منها إلى وجه الصبي وهو يتصوّر قضاء الصباح في المتاجر، كانت كافية لجعلها تعرض بقاءها في الفيلا مع الصبي.

تناول الآخرون غداءهم في الخارج. وهكذا حضرت كريستينا الغداء لصوفي وميشيل وهو عبارة عن لحوم مشوية بجانب بركة السباحة. فكانت هذه فترة مرحة للغاية، وقد أصابت حماسة ميشيل صوفي بالعدوى. بعد الغداء، أصرّت صوفي على عدم السماح لميشيل بالسباحة قبل مرور ساعة على الأقل. وأقنعته بأن يتكور على أحد المتكآت الشمسية المنجدة لقيلولة بعد الظهر، فلفّته بمنشفة الشاطىء. كما أن ظل الشجرة لطّف حرارة الجو بالرغم من أشعة الشمس المحرقة.

خلال الصباح، أخذ وجه صوفي يلين ويهدأ برفقة الصبي غير المعقدة.

وعندما جلست ترشف كأساً من عصير الليمون المثلوج، وتراقب ميشيل أثناء نومه، شعرت، لأول مرة منذ حضورها إلى اليونان، بالسلام وسكينة النفس. تعمدت أن لا تركز تفكيرها إلا على الطفل النائم، والشمس المتألقة، والجوّ المعطر وطنين النحل في النباتات المحيطة بالمكان. ويبدو أن غفوة تملكتها فأيقظها الآخرون بعد عودتهم. ثم أمضى الجميع ساعة أو ساعتين وهم يثرثرون يرشفون الأشربة المثلوجة وينظرون إلى ميشيل وهو يلعب في البركة بالحوت البلاستيكي الضخم الذي اشتراه إيفانجيلوس وديميترا لحفيدهما.

أمضى الجميع وقتاً ساراً لا عجلة فيه وعند الساعة الخامسة والنصف بالضبط عاد الجميع إلى المنزل. فتناول ميشيل وجبة الشاي مع الطاهية، بينما دخل الكبار إلى غرفهم ليرتاحوا قبل الاستعداد للعشاء. ووجدت صوفي نفسها تدندن بلحن صغير قبل أن تدخل إلى غرفتها المشمسة. وحدثت نفسها بجزم بأنها كانت من قبل متعبة للغاية فقط.

دخلت إلى الحمام، ثم استلقت على سريرها لتأخذ قسطاً من الراحة. وعند السابعة إلا عشر دقائق، كانت قد غيرت ملابسها ثلاث مرات. شعرت بأن الثوب الأول يكشف من جسدها أكثر مما ينبغي، وأما الثاني وهو بذلة صيفية من الكتان تبنية اللون، فقد أحسّت بأنها شديدة التزمت. والثوب الثالث هو فستان وردي اللون متألق أبرز لون بشرتها.

وأخيراً وقع اختيارها على بلوزة بنية اللون مزيّنة بالخرز اللامع، ذات حمالات رقيقة مع بنطلون من الجينز الأسود وحذاء خفيف عالي الكعبين ذي أربطة، كما ربطت شعرها بشكل عفوي، سامحة لعدة خصلات منه بأن تنسدل حول وجنتيها وعنقها. أما زينتها فكانت عبارة عن لمسة من الظلال حول عينيها. لقد منحت الشمس بشرتها لوناً عسلياً متألقاً لا يمكن لمساحيق التجميل أن تمنح مثله. ولم تضع على شفتيها سوى أحمر شفاه لامعاً. أتراه

سيظنها بالغت في الزينة؟ أم أن ثوبها هذا ليس لائقاً كما ينبغي؟ أم هو أكثر لياقة؟ أولئك النساء اللواتي يلاحقنه . . . ماذا تراهن سيلبسن في سهرة كهذه؟ ملابس مصممة خصيصاً للواحدة منهن دون شك . . . أغمضت عينيها وعضت شفتها بقوة لأفكارها هذه. يكفي! هذا يكفي يا صوفي فيرن! ليس عليك أن تتنافسي مع أي امرأة، خصوصاً على أندريس كاريديس. تمالكي نفسك، يا فتاة!

فتحت عينيها وقررت أن لا تضع من الحلي سوى قرطين فضيين في أذنيها. (سواء كنت جاهزاً أم لا . . . ها أنا ذا جئت . . .) وابتسمت لهذا اللحن الصبياني الذي طالما كانت تردده مع أختها جيل في طفولتهما، عندما كانتا تلعبان لعبة «الغميضة». لا شك في أن أندريس سيكون جاهزاً ومنضبطاً، ولكن، ماذا عنها هي؟ وتذكرت جاذبيته المفرطة، والسهولة التي عانقها فيها ساحقاً كل دفاعاتها . . . وأخذ قلبها يخفق بجنون. وعندما دقت جيل بابها وأطلّت برأسها لتقول إن أندريس وصل، تملكها الارتياح وهي تعلم أنه هنا وأن الانتظار انتهى.

- تبدين رائعة، يا صوفي! وكل شيء على ما يرام.

هتفت جيل بذلك حالما رأتها. وكان إيفانجيلوس قد أخبرهما بأن مطعم «بالليني» هو المفضل لدى الجيل الجديد، وهو مطعم ممتاز فيه باحة للرقص وفرقة موسيقية رائعة، لكنه غير رسمي وهذا يعني أن بإمكان الزبائن أن يرتدوا ما يشاؤون من الملابس.

فسألتها صوفي بقلق: «هل أنت واثقة؟ ماذا يلبس أندريس؟ هل يرتدي ملابس رسمية؟».

لكن قوة الملاحظة لم تكن من صفات جيل، فقالت: «لا أظن ذلك. إنه عاديّ الأناقة، مثلك».

لكن عبارة «عادي الأناقة» لم تكن مناسبة لوصف القميص الأزرق

الحريري والبنطلون الأسود الرائع التفصيل اللذين كان أندريس يرتديهما، إذ بدا فيهما أشبه بنموذج عن الجاذبية، أو بالأحرى عن الديناميت. أخذت صوفي تفكر في ذلك بضعف عندما دخلت إلى غرفة الاستقبال بعد ذلك بلحظات.

- مساء الخير يا صوفي.

وقف أندريس من مكانه بجانب أبيه، وراح ينظر إليها بإعجاب صريح: «تبدين جميلة للغاية، الليلة».

شعرت بوجهها يتوهج، إلا أنها حاولت أن تجاريه في رقته فقالت: «شكراً».

- هل أنت جاهزة؟

قال هذا وهو يستدير رافعاً يده بعفوية، مودعاً الحاضرين الذين كانوا يحاولون، دون نجاح، إخفاء اهتمامهم بما يحدث.

شعرت صوفي بوجوده بقربها بقوة فيما هما يسيران نحو السيارة. وبعد أن ابتسمت للسائق بول الجالس خلف المقود، صعدت إلى المقعد الخلفي من الليموزين الفارهة، متنشقة رائحة عطر بعد الحلاقة الذي يضعه أندريس بينما صعد هو ليجلس بجانبها.

- بالليني ليس بعيداً.

قال هذا وهو يجلس بكل ارتياح بجانبها وقد بدا عليه أنه لم يلاحظ احتكاك جسده بجسدها أكثر من مرة أثناء ذلك، بينما شعرت هي بذلك الاحتكاك وكأنه صدمة كهربائية وكان عليها أن تتحكم بنفسها بحزم كيلا يلاحظ ذلك. إذ إن هدفها الأول هذا المساء هو أن تجعل هذا الرجل الصعب يدرك أنها غافلة عنه تماماً. وهكذا عليها ألا تتصرف كقطة قلقة متململة، كما أخذت تحدث نفسها بيأس.

توقعت منه أن يبدأ الحديث عن هذه المناسبة الرائعة، إلا أنه لاذ بالصمت وهم يخرجون من المزرعة إلى الطريق العام الضيق. وبعد عدة دقائق سألها بهدوء: «هل أنت جائعة؟».

- نوعاً ما.

بدت الأمسية رائعة فالسماء زرقاء وأشعة الشمس تتسرب من نوافذ السيارة وقالت صوفي: «تناولنا، أنا وميشيل، شواءً بجانب بركة السباحة عند الغداء. وقد اقترفت غلطة حين أكلت ما تبقى من طعامه بالإضافة إلى طعامي. لذا أنا لست موشكة على الموت جوعاً، إذا كان هذا ما تسأل عنه».

منحها أندريس ابتسامة هادئة رقّت معها ملامحه الصلبة ثم قال: «هذا حسن. فقد حجزت مائدة للساعة التاسعة. فكرت في أن نتمشى على الشاطىء أولاً، فهو يبدو رائع الجمال في المساء».

- جميل جداً.

قالت هذا بحذر لم تستطع أن تخفيه تماماً. ثم وجدت نفسها تتصلّب عندما أخذ يدها في يده. وحدّقت في عينيه وقد اتسعت عيناها، فقال وقد لاح على وجهه شبح ابتسامة: «سأمسك بيدك، يا صوفي، هل في هذا بأس؟ وربما أمسكها على الشاطىء أو أضع ذراعي حول خصرك، هذا مع إشارات أخرى تأتي طبيعياً عندما يترافق رجل مع امرأة. وهكذا، هل يمكنك أن ترتاحي وتتقبلي فكرة أنك الآن في موعد غرامي؟».

نظرت إليه برعب. أندريس كاريديس، ما كان ليحتار أو يرتبك أو ما أشبه، حتى ولو كان مراهقاً، كما حدثها ذهنها بصمت. وقالت ببلاهة: «هذا ليس موعداً غرامياً، فأنت شقيق ثيودور».

فقال يذكّرها بهدوء: «بل أخوه غير الشقيق. وعلى حد علمي، هذا لا يمنع قيام علاقة بيننا. وهذا موعد غرامي يا صوفي، سواء شئت هذا أم لا.

وإذا أنت منحت نفسك بعض الفرصة، سوف تستمتعين بذلك».

فقالت دون تفكير: «تعني أنني سأستمتع بوجودي معك».

فابتسم أندريس قائلاً: «بالضبط. ولا تتوقعي مني أيضاً أن أعتذر لاقتراحي مثل هذه الفكرة المخلّة بالآداب العامة. يفترض أن تكون المرأة رفيقة للرجل، وهذا هو المنطق الصحيح للأمور».

الشاطىء الرملي الطويل، والمياه الفيروزية اللون في شمال اليونان، مشهورة بجمالها، لكن الجرف الذي ينحدر تدريجياً والذي يقوم عليه مطعم «باللينى» هو ذو جمال مميز، لا سيّما أنه بعيد عن طريق السيّاح.

كان الناس يتناول طعامهم على الشرفة، كما في داخل المطعم الفسيح، وهناك آخرون يستمتعون بالجو تحت شمس العصر على الموائد الكثيرة المنتشرة على الشاطىء، أمام البناء وعلى جانبيه. وكانت الموسيقى تملأ الجوّ الدافىء ممتزجة بالأحاديث والضحكات.

ومن بعيد، عبر الرمال البيضاء، راحت موجات صغيرة تنساب برفق إلى الشاطىء، فيما راح بعض الناس يتمشون على الشاطىء في دفء الغروب. بدا كل ذلك غريباً للغاية كما بدا ذا طابع يوناني خالص، ما جعل صوفي تقف كأنها تعبّ من هذه المشاهد حالما نزلا من السيارة واختفى بول. البحر، الشمس، الرمال... وأندريس بجانبها.

- يا له من مكان غير عادي!

قالت هذا أخيراً، وهي تشعر بنظرات أندريس على وجهها قبل أن تلتفت وتنظر إليه: «ويبدو أنه مكان ذو شعبية».

أومأ برأسه وقد ضاقت عيناه إزاء الشمس ثم أمسك بيدها وابتدأ السير باتجاه البناء وهو يقول: «يملكه صديق حميم لي».

وعندما انحنت صوفي وخلعت حذاءها، انتظرها حتى انتصبت واقفة

مرة أخرى، ثم أخذ يدها وتابع يقول: «أسرة نيكولا غنية لكنه بوهيمي، وأظن أن أباه كان متلهفاً إلى أن يفعل ابنه أي شيء في حياته. ثم تعرّف نيكولا إلى يونا، وتزوجا بعد ثلاثة أشهر، فاشترى القسم الأمامي من الشاطىء بأكمله، وبنى هذا المطعم. وقد لاق النجاح منذ اليوم الأول، وذلك منذ عشر سنوات».

لم تستطع صوفي منع نفسها من القول وهي تبتسم ساخرة: «يبدو أن حب المرأة الملائمة يأتي بالعجائب».

فقال بجفاء بالغ: «هذا واضح».

ثم تغير صوته وهو يتابع قائلاً: «تعالي لأقدمك إلى صديقي نيكولا ويونا، ثم نعود فنتمشى لتهضمي غداءك. هل أنت موافقة؟».

لم يكن هناك وقت للجواب، إذ سمعت صيحة صغيرة من داخل المطعم. وفي اللحظة التالية ظهرت امرأة صغيرة الجسم رشيقة ذات شعر بني يصل إلى خصرها من فوق السلم واندفعت نحو أندريس قائلة: «أندريس! آه، ما أجمل أن أراك! مضت شهور على زيارتك الأخيرة لنا».

- لا تبالغي يا يونا.

خلف المرأة ظهر رجل مسترخي الأطراف والشعر، فابتسم لصوفي ومدّ يده ليصافحها قائلاً: «لا بد أنك صوفي. أنا نيكولا، وهذه المرأة الملتصقة بأندريس هي زوجتي يونا».

أثناء الدقائق التالية شعرت صوفي بأنها أحبت صديقي أندريس هذين. ولو اختلفت الظروف، لرغبت بأن تتعرف إليهما أكثر وتمضي معهما مزيداً من الوقت.

- سنذهب لنتمشى على الشاطىء ثم نعود في التاسعة. هلا أعدّت لنا يونا طبقها المشهور «تزاتزيكي»؟ أريد أن تعدّه يونا بنفسها وليس أياً من الطهاة مهما بلغت مهارته.

قال أندريس هذا وهو يغمز صديقه.

سمعت صوفي نيكولا يصيح مصدراً بعض الأوامر لشخص ما بلغته. ثم يعود وهو يقول: «طلبت من ستيفانوس أن يحجز لكما حلوى «الموساكا» وطبقاً من القريدس وسرطان البحر. أظنك ستطلب طبقك المفضل بعد «التزاتزيكي»».

فبادله أندريس الضحك: «كنت أتذوقه طوال النهار».

عندما ابتعدا عن المطعم، شعرت صوفي ببعض الارتباك. كانت قد تركت حذاءها الخفيف لدى يونا، وها هي الآن تدوس على الرمال الناعمة الدافئة على الشاطىء. قالت بهدوء: «إنهما طيبان. أظنهما يتكلمان الإنكليزية لأجلي أليس كذلك؟».

- نعم، فهما يريدانك أن تشعري بأنك في وطنك.

لم يعجبها تأثير ارتياحه وإلفته غير العادية مع صديقيه على سكينتها النفسية. بدا معهما مختلفاً عما يبدو عليه عادة، حتى مع أسرته. بدا أصغر، وألطف، وأكثر إلفة، وحتماً أكثر خطورة لأنه بدا الآن أكثر جاذبية من أي وقت مضى. تابعا سيرهما إلى حافة المياه، وبعد قليل، اختفى الطنين الآتي من المطعم خلفهما. كان أندريس يمسك بيدها أثناء سيرهما، ومضت حوالى العشر دقائق دون أن يخترق الصمت بينهما.

راحت صوفي تتنشق رائحة البحر والرمال وهواء الصيف الدافىء، وهي تنظر إلى مياه البحر الفيروزية التي تلتمع تحت سماء اليونان الزرقاء، دون أن تركز تفكيرها على الإطلاق. لأنها إذا بدأت بالتفكير ستصاب بالذعر، كما اعترفت لنفسها في بداية مشوارهما هذا. وهكذا كان من الأسهل أن تقفل ذهنها وتدع حواسها تستمتع بهذا المساء الرائع. لكن تجاهل ذلك الجسم القويّ العضلات بجانبها بدا في منتهى الصعوبة، ذلك

أن جسدها قد كوّن حياة خاصة به منذ عرفت أندريس.

وصلا إلى منطقة من الشاطىء معزولة تماماً. وأشار أندريس إلى جرف من الصخور يبرز فوق الرمال، تتسرب المياه برفق حوله، وقال بكسل: «هناك، إنه مكان ممتاز للجلوس والاسترخاء فيما يخبر كل منا الآخر بقصة حياته».

نظرت إليه صوفي بسرعة: «لا أتذكر أن هذا كان جزءاً من اتفاقيتنا لهذه الليلة».

فمنحها ابتسامة عريضة: «ما الذي تريدين أن تتحدثي به إذن؟ الخيار لك».

قررت أن تواجه موقفه هذا بمرح وتمنحه ابتسامتها الغامضة التي تفخر بها في بعض الظروف قبل أن تقول: «حدثني عن اليونان».

قالت هذا عندما وصلا إلى الصخور الملساء، وجثما عليها بارتياح وأخذا ينظران إلى المياه الهادئة. رمقها أندريس بنظرة هازلة من عينيه الداكنتين وهو يملأ كوبيهما بالعصير ويناولها أحدهما: «يمكنك أن تحصلي على كتيّب سياحي لهذا الغرض».

مالت الشمس إلى الغياب، وأخذت صوفي عدة رشفات من كوبها قبل أن تقول: «لا بأس، أخبرني عن عملك إذن. وتفاصيل يوم عادي من حياتك. ألا يحب الرجال أن يتحدثوا عن أعمالهم؟».

- أعندما يكونون مع امرأة جميلة؟ أظنك كنت مرتبطة مع رجل غير مناسب.

- أنت تتعمد أن تكون صعباً.

- أبداً.

وأخذ يتأمل وجهها الجميل فعلا الاحمرار خديها، عندئذٍ بادرها

بالسؤال: «أخبريني عن زوجك. هل كنت سعيدة؟ هل كان لطيفاً معك؟».

كان هذا أمراً غير متوقع منه تماماً. ومضت لحظة وهي تنظر إليه بعينين متسعتين، ثم جذبت نفساً عميقاً وقالت بهدوء: «نعم، كنا سعيدين جداً. كان ماثيو رجلاً لطيفاً وقد أحببته».

لم يتغير الوجه الأسمر ولو مقدار طرفة عين: «هل يؤلمك أن تتحدثي عنه؟».

فالتفتت إليه: «يؤلمني؟».

ثم عادت تنظر إلى البحر: «ليس الآن، لكنه لم يكن يستحق أن يموت شاباً».

قالت هذا ببطء، فذكرياتها عن ماثيو كانت غالية دافئة، لكنها أصبحت من الماضي. وسألها بهدوء: «أخبريني عما حدث. أحب أن أعرف».

وهكذا حدثته بكل شيء، منذ تعارفا في الجامعة حتى الليلة التي مات فيها بين ذراعيها. وقالت بهدوء: «لم أستطع تصديق ذلك في البداية. كان أحسن أصدقائي، وفجأة لم يعد موجوداً».

لم يقل أندريس شيئاً وهي تتحدث، لكنه أعاد ملء كوبها وهو يقول بلطف: «هل كان حدادك عليه بصفته زوجك أم صديقك، يا صوفي؟».

- ماذا؟

ومنعها الذهول من قول المزيد.

- أنا واثق من أنك أحببته، لكن النار لا تتلاءم مع الماء.

- لا أدري عما تتحدث.

وحملقت فيه بغضب، لا تدري إن كان ينتقدها أم ينتقد ماثيو أم إن

هناك انتقاداً على الإطلاق.

- الماء ساكن هادىء لا يتلاءم مع المشاعر القوية التي تجرف بعض الرجال والنساء. بعض عظماء الرجال في العالم لديهم هذه الصفات، ولكن أنت . . . أنت لست مخلوقة لتكوني زوجة لرجل كهذا. النار يجب أن تلتقي بالنار، وإلا سرعان ما تخمد لتصبح مجرد وميض. النار هي عبارة عن مشاعر محمومة، عنيفة، إنها الهياج والإنفعال، بل إنها الحياة نفسها.

رفعت وجهها وهي على وشك أن تغضب، لكن شيئاً في صوته منعها من ذلك. ذلك أنه قال كل شيء ما عدا أنه ما كان لها أن تتزوج ماثيو، أو أنهما كانا سيصبحان شقيين يوماً ما . . . كل هذا، بينما هي لم تعرفه إلا منذ يومين. كيف يجرؤ على القول إن كانا مناسبين لبعضهما البعض أم لا؟ ولكنه، بشكل ما، لم يكن كريهاً بما قاله. قالت صوفي بهدوء: «أنت لم تعرف ماثيو، كما أنك، بصراحة، لم تعرفني أنا أيضاً. وهكذا لا أدري كيف يمكنك أن تقول أي شيء عن زواجنا».

- لقد سمعت ورأيت كيف تحدثت عنه الليلة.

كانت عيناه مشتبكتين بعينيها. وقد أضفى الشفق الوردي لوناً داكناً على بشرته البرونزية وشعره الأسود. نظرت إليه لحظة ثم نزلت عن الصخرة. لا يمكن أن تسمح له بأن يؤثر عليها إلى هذا الحد. أخذت جرعة من العصير ثم جمدت مكانها، بينما مدّ هو يده فاخذ الكوب من يدها ووضعه على الصخرة الملساء بجانب كوبه. ثم أدارها إليه ويداه حول خصرها، قائلاً بلطف، ولكن دون أن تلمس أي ندم في صوته: «أنت غاضبة مني؟».

فقالت بنبرة باردة كالثلج: «ولماذا أغضب؟».

وتمنت لو أمكنها أن تدفعه ليتدحرج بعيداً عنها. ولكن لعلمها بأنها لن تؤثر على الإطلاق على عضلات صدره القوية، تابعت تقول: «أنت تقول

إنه ما كان لي أن أتزوج زوجي، وإننا لم نكن متلائمين بينما أنت لم تعرف ماثيو قط! كيف يمكنني أن أعترض على ذلك؟ البعض طبعاً يسمّون ذلك غطرسة بالغة، لكن لا شك أن هذا لن يزعجك لحظة. أليس كذلك؟».

فقال برفق: «هل تريدين الكذب لترضي، أم الحقيقة؟».

فتحت فمها لتخبره بالضبط عما عليه أن يفعل بهوايته في علم النفس، عندما جذبها إليه في عناق حار منعها من التفوه بكلمة. جاءت حركته سلسة، إلا أنها حركة خبير لم تسمح لها بالهرب، وإن كانت لم تفكر في ذلك على كل حال. بدا عناقه رقيقاً مذهلاً، أنبأها بمجلدات عن خبرته بالنساء، وامتزج ذلك برائحة البحر والرمال والافتتان الساحق الذي تملكها. وبشكل ما، التفت ذراعاها حول رقبته دون وعي منها. رائحته وإحساسها به كانا يغمرانها فلم تشأ لهذا أن يتوقف. وراحت يداه تعبثان في شعرها الحريري وهو يحثها على أن تتجاوب معه ما جعلها غير قادرة على الاعتراض.

كان أندريس يتنفس بصعوبة، إذ راح صدره يعلو ويهبط تحت قماش قميصه الرقيق، لكن تحكّمه في نفسه كان تاماً. وبعد عدة دقائق، أبعدها عنه بلطف وهو ينظر في عينيها بغموض ثم قال: «إذن، فنحن نعرف كيف نتغلب على خصوماتنا».

حاولت صوفي أن تتجاهل الشوق الذي ما زال يتملكها، والحرارة التي توهن أطرافها ما جعل رأسها يدور. لكن كلماته التي تضمنت إشارة خفية إلى نوع من العلاقة بينهما في المستقبل، جعلت دمها يجري حاراً في عروقها، فقالت بشيء من الثبات: «ليس بيننا أي علاقة الآن أو مستقبلاً ما يجعلنا نطمئن إلى ذلك، فسؤالك هذا لا يقصد سوى التأثير على النفس، كما أرى».

- يمكنك أن تريه بأي شكل تريدينه.

قال هذا بنعومة سارّة، ولكن بلمسة ضئيلة من الفولاذ وراء نعومته ثم تابع يقول: «أما الآن، فسنعود إلى مطعم «باللّيني» ونأكل جيداً. وسنبتسم ونتحدث، ولا نقول شيئاً أكثر من أنك تحبين «الموساكا». هل تحبين «الموساكا»؟.

- نعم يا أندريس. أحب «الموساكا».

إذا كان قد لاحظ نبرة التحكم في النفس في صوتها، فهذا لم يظهر عليه. وإنما أخذ يجمع زجاجة العصير والكوبين ثم يلحق بها وهي تسير على الشاطىء. وهذه المرة لم يمسك بيدها، وشعرت هي بالهجران بشكل غبي.

تناولا العشاء على الشرفة المطلة على البحر، والنسيم القادم من البحر يبرّد حرارة الجو ويجعله ساراً للغاية. ومالت الشمس للمغيب مخلفة الشفق الأحمر الذهبي وراءها... مظهرة جمال الطبيعة في أحلى روعته. بدا المنظر جذاباً مذهلاً، ولا بد أن الأحلام ساهمت في صنع سحره. وكذلك كان أندريس.. إنها تعلم أنه يحاول أن يفتنها، ولكن بالرغم عنها لم تستطع منع نفسها من الاستجابة. بدا مسلياً حريصاً على إرضائها وشعرت صوفي بالمتعة تماماً، مع أنها لم تشأ أن تفعل... لكنه جعل من المستحيل أن تتجنب ذلك. وكأنه قرأ أفكارها، فاقترب منها وهما يتناولان القهوة، وهو يقول بصوت خافت هادىء: «يجب أن تسترخي في أغلب الأحيان. لكنك تجدين من الصعب أن تطلقي لنفسك العنان، أليس كذلك؟ إذا لم يكن زواجك هو الذي جعلك بهذا الشكل، فما هو إذن؟ لأنك لست كذلك في أعماقك».

بادلته صوفي التحديق. وفجأة، وجدت تفحصه الدقيق لها مثيراً للأعصاب. فتحت فمها لتدلي بتعليق مرح، لكنها، بدلاً من ذلك، وجدت نفسها تقول: «إنها طريقة نشأتنا، كما أظن. كان على أمي أن تعمل طوال الوقت، وجيل... حسناً، أظنني شعرت بأن عليّ أن أرعاها بشكل ما.

فهي تبدو أصغر مني رغم أننا توأمان».

أومأ برأسه ببطء: «وأبوك...؟».

- ترك أسرته عندما كان عمرنا، أنا وجيل، شهرين.

لم تقل هذا بالفتور الذي رغبت بأن تظهره. وحدثت نفسها بضيق بأن السبب هو التوتر الذي يسببه لها. عليها أن تحاذر! لكن أندريس التقط خيط المرارة. فسألها برقة: «ألم تتزوج أمك مرة أخرى؟».

- وكيف يمكنها ذلك؟ كانت تعمل كل ساعات النهار. لم يكن ثمة وقت لحياة اجتماعية أو التعرف إلى أحد. هذا إلى أنها، كما أظن، بقيت تحب أبي، رغم أنها كانت تفضل الموت على الاعتراف بذلك. كانت تعلم أنه قذر عديم القيمة، لكنها لم تستطع أن تتحرر من حبه.

توتر فمه لحظة ثم سألها: «ألا ترينه أبداً؟».

- لم أره قط. ربما يكون قد مات.

وحدثه تصلّب جسدها وتهدج صوتها أن الحديث انتهى، بينما تملكها هي نوع من الطيش. وفجأة لم تعد تريد أن تفكر. لقد قال إنها تجد صعوبة في الاسترخاء والانطلاق، وعندما فكرت في قوله هذا وجدته صحيحاً. لقد عاشت حياتها برتابة مضجرة قدر ما تتذكر، فهي دوماً عملية ومنضبطة ومسؤولة. حتى مع ماثيو، كان القرار الأخير في كل شيء لها. وهذا لا يعني أنها لم تكن تريد ذلك، كما سارعت تحدث نفسها، في الواقع.. ألم تكن تحب ذلك؟.

وفجأة، لم تعد واثقة من أي شيء، بدا لها هذا شعوراً مخيفاً.. هذا الدافع إلى الإنطلاق. أن تدع شعرها يسترسل إلى الأسفل دون اهتمام بالظروف، كان قوياً بقدر ما كان خطراً، وعليها أن تتحكم في ذلك الآن، كما حدّثت نفسها برزانة وهي تنظر إلى وجه أندريس، بينما راح هذا الأخير يتحدث إلى يونا وزوجها نيكولا اللذين جلسا معهما إلى المائدة.

على مسافة بعيدة خلفهم، امتدت طريق الشاطىء. كان النسيم يداعب أشجار الصنوبر، والسماء تتألق بالنجوم، والقمر يتهادى لامعاً مزهواً.
كان بعض الزبائن قد غادروا المطعم، لكن الفرقة ما زالت تعزف، ولم تعد باحة الرقص مزدحمة كما كانت أثناء تناولهم الطعام. ولم يعد هناك سوى اثنين يرقصان حالمين. وقف أندريس ومدّ إليها يده قائلاً: «تعالي سنرقص قليلاً».

فقالت على الفور: «آه، لا! أنا لا أحسن الرقص».

واكتشفت على الفور أن لا جدوى من الكلام لأنه سرعان ما رفعها لتقف على قدميها بقوة، ثم جرها إلى داخل المطعم، وفي أثرهما يونا ونيكولا. حاولت استعادة تماسكها حين أخذها بين ذراعيه، إلا أنها أصبحت بتصلّب لوح خشب، ما جعل أندريس يقول لها بغيظ: «استرخي، ودعي الموسيقى تقودك. أن تكوني شابة مرحة خالية البال ليس إثماً».

تمتم بذلك في أذنها برقة وقد غمرتها رجولته بسحرها.

وبعد أن رقصا دقيقة أو نحوها، سألها: «هل لديك شخص معيّن في إنكلترا؟».

- في الواقع، كلا. لأن على أية علاقة أن تتلاءم مع برنامج عملي. وهو مزدحم في أكثر الأحيان.

أو هذا ما سيكون لو كان لها علاقات بشبان. لقد بدا من جوابها وكأن لديها فرقة كاملة من الشبان عليها أن تختار منهم!

- وهل أصدقاؤك الرجال راضون عن ذلك؟ هل كان ماثيو يتلاءم مع برنامج عملك؟

- هذا حقاً ليس من شأنك.

كان من الصعب عليها أن تبدو بالشراسة المطلوبة، بينما هو يحتضنها، وأنفاسه تشعث شعرها. لكن هذه هي عادة أندريس في التعليق. وأجابها على الفور: «طبعاً ليس من شأني، ولكن هل كان يتلاءم؟».

رفعت رأسها بحدة والسخط واضح في عينيها وهي تقول: «أنت حقاً لا تقبل كلمة (لا) جواباً. لم أعرف رجلاً قط مثلك يحب التحدي والمواجهة».

ابتسم أندريس وشدّ ذراعيه حولها: «كم أنت ماهرة في الملاحظة! إذن، فالرجال في حياتك خاضعون دوماً. أليس كذلك؟».

- أرفض أن أتحدث عن هذا الأمر معك.

قالت هذا بغضب وهي تصرف بأسنانها. وإذا بالذهول يتملكها وهي تراه يلقي برأسه إلى الخلف مقهقهاً. قبل أن يقول: «ما هذه الإشاعات التي تقول إن النساء الإنكليزيات باردات كالخيار؟ أنت أكثر نيرانية من أي فتاة يونانية عرفتها».

نظرت صوفي إليه بجفاء، فضحك مرة أخرى.

- أمن المفترض أن يكون هذا مديحاً؟ أهو طراز يوناني؟

قالت هذا بنوع من التزمت اتسعت معه ابتسامته، وقال: «ألا تحبين المديح؟».

- أظن أنني لا أحب التملق.

- يا لك من قطة صغيرة متشككة، يا حلوتي.

وضمها إليه مرة أخرى، فتخلت عن الجدل.

إنها لن تنتصر أبداً في حرب الكلمات مع أندريس، فهو رجل يملك كل الأجوبة، وهذا سبب آخر يدفعها إلى التحفظ معه.

توقعت صوفي أنهما سيغادران المطعم حال الانتهاء من العشاء. لكنها، مع مرور الوقت، وجدت أن هناك مجموعة كبيرة من الناس الباقين

كانوا، كما وصفتهم يونا وزوجها، «أصدقاء وزبائن منتظمين».

وهم عادة ما يبقون حتى ساعات متأخرة. ولم تشأ هي أن تغادر في الواقع، فقد كانت مستمتعة للغاية بوقتها. أصبح المزاج داخل المطعم أكثر إلفة، وجلست يونا وزوجها معهما إلى مائدة قريبة من باحة الرقص، وكانا جليسين رائعين. كان نيكولا مزاحاً كما كانت يونا فكهة ضاحكة دوماً، ولم تضحك صوفي في حياتها كما ضحكت الآن. وشعرت كأنها تعرفهما طوال حياتها. وبعد قليل راحت الموسيقى تعزف بعنف، فتأبط الرجال جميعاً أذرع بعضهم البعض، وأخذوا يدبكون. بينما راحت النساء يصفقن ويهتفن، فيما الرجال يخبطون الأرض بأقدامهم ويدورون.

ظلت عينا صوفي مسمّرتين على أندريس. بدا مختلفاً عن مظهره المعتاد، حيث هالة السلطة والقيادة تحوطه كالدرع البارد، فتشع قسوة تزيد من قوة الرجولة فيه. أما الآن، مع أصدقائه، فقد بدا منفتحاً مسترخياً، وتحوّلت غطرسته إلى نعومة حريرية. لكنها عادت تذكر نفسها بسرعة بأنه ما زال هو نفسه. وسلخت نظراتها عن وجهه الأسمر الضاحك، وأخذت ترشف قهوتها بحدة. بدا أندريس ذا حيوية هائلة، وطاقة فياضة خطرة، وشخصية قوية دوماً تغطي على من هم حوله.

اشتدت أصابعها على الفنجان وأخذ قلبها يخفق. لماذا هي هنا؟ لماذا لم تختلق عذراً في اللحظة الأخيرة، مثل صداع أو ما شابه؟ كان الجواب واضحاً للغاية في رأسها، وهو أن الفضول كان يتملكها. وفجأة اختفى كل أثر للتشوش الذي كانت تشعر به. لقد خلب أندريس لبها، وكأنه شخص غريب أسمر قادم من عالم آخر، فأرادت أن تكون معه، أن تعرف المزيد عنه. وبدا مريحاً لها أن تقرّ بضعفها الآن، بعد أن أخرجت ذلك من عقلها الباطن إلى العلن. ظنّت أنها كلما ازدادت معرفة به، كلما استطاعت أن تكبح هذا الشعور الغريب نحوه. وأنه، بطريقة ما... سوف... ماذا

بالضبط؟ يبعدها عنه؟ يقول أو يفعل شيئاً غبياً أو فظاً؟ ربما تمنت أن يحدث ذلك، ولكن دون أن تعني ذلك حقاً!

كانت أفكارها مشوشة للغاية. وعندما اهتز المكان بالضحك والصياح، وأنهى الرجال الدبكة على تصفيق النساء وهتافهن، أرغمت نفسها على الخروج من أفكارها العقيمة. غداً ستفكر في كل ذلك، وليس الآن. أما الآن، فعليها فقط أن تكون حذرة متعقلة.

- ماذا حدث؟

لم تنتبه إلى أن أندريس عاد بهذه السرعة. لكنه انحنى ورفع ذقنها بإصبعه، وقد بدا الجد في عينيه حين قال: «ماذا حدث؟».

فقالت وهي ترغم نفسها على عدم التصرف بشكل سيء: «لم يحدث أي شيء».

فقال بهدوء: «أراك عدت إلى مزاجك الصارم، أرى ذلك في عينيك. نسيت، لفترة قصيرة، بأن عليك أن لا تمتعي نفسك. أليس كذلك؟».

فقالت صوفي مؤكدة: «لا تكن سخيفاً. فأنا غالباً ما أمتّع نفسي».

- لا، أنت لا تفعلين ذلك في الحقيقة.

ثم انحنى ليضمها إليه بسرعة قائلاً: «ولكنك ستفعلين ذلك إذا أنا تدخّلت في الأمر. آه، نعم ستفعلين. وهذا وعد مني، يا صوفي».

ثم تركها واستدار يتحدث إلى نيكولا، فيما بقيت هي جالسة بصمت وذهول إزاء كلماته الأخيرة الحافلة بالمشاعر. متسائلة عما يجعلها تبقي نفسها في حالة إنهاك دائم لأعصابها بسبب هذا الرجل. لم تعرف لحظة سلام منذ وقعت عيناها عليه، وهي لا تستطيع أن تصدق أنها لم تعرفه إلا منذ أيام قليلة. عليها أن تنظر إلى كل هذا الأمر بأبعاده الصحيحة، وبعد ذلك... ستعرف السلام مرة أخرى. وعضت شفتها بقوة.

٧ ـ ليكن ما تريدين!

استيقظت صوفي في الصباح، لترى أشعة الشمس تتسلل إلى غرفتها من خلال باب الشرفة الذي تركته مفتوحاً الليلة الماضية، وأدهشها أنها تمكنت من النوم جيداً.

لم يغادرا، هي وأندريس، مطعم «بالليني» قبل الثالثة صباحاً. وعندما سارا على الشاطىء إلى حيث كان بول ينتظرهما في السيارة، تصوّرت بأن أندريس لن يتوقف عن عناقها وهما في طريقهما إلى البيت. لكنه لم يضع إصبعاً عليها إلا بعد وصولهما إلى باب المنزل، إذ عانقها مودعاً، وكان ذلك عناقاً بسيطاً، مختصراً، ومهذباً لا غير.

نظرت إلى الساعة فتملكها الذعر حين رأت أنها الحادية عشرة. الساعة الحادية عشرة! وقفزت من السرير. ماذا سيفكر إيفانجيلوس وديميترا بها؟ إنها المرة الثانية التي يفوتها فيها طعام الإفطار، بينما لم تمضِ هنا سوى ثلاثة أيام!

بعد غسل وجهها بسرعة في الحمام، إرتدت بنطلوناً قصيراً وقميصاً أزرق، ومشطت شعرها، ثم أسرعت تهبط السلم دون أن تعبأ بزينة وجهها. رأت إينكا تخرج من غرفة الاستقبال وفي يدها منفضة للغبار، فأخبرتها أن الآخرين خرجوا لزيارة صديقة لديميترا بعد الإفطار، وأن صديقتها تلك لديها ابن في مثل سن ميشيل: «قالت السيدة أن المستحسن لأجل ميشيل أن يتعرف إلى صبي في مثل سنه ليلعب معه. وكنت أنت

مستغرقة في النوم، فلم تشأ أن تزعجك. لقد تركت السيدة تعليمات بأن نقدم لك الإفطار تحت أشعة الشمس في الفناء، وسأحضره على الفور».

- شكراً يا إينكا.

وهكذا جلست صوفي في هذه العزلة الرائعة، وراحت تتأمل الأماكن الجميلة المحيطة بالمنزل، والتي تتألق تحت ضوء الشمس. وهذا ما هي بحاجة إليه في الحقيقة. إنه يمنحها فرصة تستعرض فيها أمورها وتقرر ما عليها أن تقوله قبل أن ترى جيل، فهي تعرفها، لن يهدأ لها بال قبل أن تعرف كل ما حصل معها في الحفلة. وتأوهت في داخلها وهي تحاول تنظيم أفكارها.

ستسرد عليها كل شيء، كما قررت أخيراً وهي تلعق أصابعها بعد آخر لقمة من فطورها اللذيذ. نعم، ستكون صادقة. ستركز حديثها على روعة المطعم، وصديقي أندريس، وحقيقة أنها أمضت وقتاً جميلاً للغاية. أما حديثهما الحميم، والعناق، وما قاله بعد الرقص، فذلك ستحتفظ به لنفسها. لأن كل ذلك لا يعني شيئاً، على كل حال، فلم تشأ أن تأخذ جيل فكرة خاطئة عن الأمر.

عندما عاد الآخرون متأخرين عن موعد الغداء، كان وجه صوفي قد استعاد هدوءه كما كانت تصرفاتها سهلة مرتاحة... ظاهرياً على الأقل. لكن هذا هو المهم، كما أخذت تحدث نفسها وهي تقدم لجيل تقريراً عن سهرة الليلة الماضية لحظة بلحظة. وفكرت أنها ستواجه مشاعرها الداخلية عند الاختلاء بنفسها، وكل نهار يمر يعني أنها باتت أقرب إلى الرحيل عن هذا المكان... عن أندريس. ومن الغريب أن هذه الفكرة لم تكن مريحة لها كما أرادتها أن تكون.

عصر ذلك اليوم جلس الجميع باسترخاء بجانب بركة السباحة، وراحوا ينظرون إلى ميشيل وصديقه الجديد الصغير ستيفوس، الذي أحضرته ديميترا أثناء عودتها ليلعب مع ميشيل. كان الولدان يتخبطان في الماء ويرشان

الرذاذ حولهما، وفكرت صوفي بجفاء في أنهما يستمتعان بما يفعلان بدون شك. في ذلك الوقت كانت جيل نائمة، فإذا بها تنظر إلى وجه أختها الجميل بمزيج من الارتباك والغيظ من نفسها. لماذا لا تشبه جيل أكثر من ذلك؟ لم تحارب جيل أحداً قط . . . حتى أنه كان بإمكانها أن تعيش مع ثيودور بحالة من السلام النسبي، بينما صوفي تعلم أنها لو كانت مكانها لاقترفت جريمة منذ الدقائق الخمس الأولى!

كيف يمكن أن تكون الحياة مع أندريس؟ كانت هذه الفكرة أخطر من أن توضع في الاعتبار، فنبذتها من ذهنها كحشرة مزعجة وهي تنهض برشاقة فتخلع قميصها الفضفاض لتكشف عن ثوب السباحة الذي لبسته بعد الغداء. أمضت ساعة صاخبة مع الصبيين، حيث قاموا جميعاً بألعاب مليئة بالجلبة والضوضاء. بعدئذٍ تناول الصبيّان الشاي معاً بجانب البركة. ثم نهض إيفانجيلوس وديميترا معاً مقترحين إعادة ستيفوس إلى بيته، فدخلت صوفي المنزل لتغتسل وتغير ملابسها.

والآن بعد أن أصبحت وحدها مرة أخرى لن تسمح بالعودة لهذا الشعور الكئيب الذي تملكها منذ ساعتين، أو إلى ذلك التوقع الخفي بأن يمرّ أندريس بهم في طريق عودته من المكتب، كما فعل من قبل. وبدلاً من ذلك، ركّزت اهتمامها على زينتها، باذلة جهدها في ذلك وكأنها ذاهبة إلى حفلة عشاء كبرى، وليس إلى وجبة عشاء مع جيل وديميترا وإيفانجيلوس. لقد شعرت، لأمر ما، بأن هذا الأمر يبدو مناسباً لهذا النهار.

كانوا قد بدأوا العشاء لتوّهم حين رنّ الهاتف، ثم جاءت إينكا لتقول إن المخابرة تخص صوفي. وتساءلت صوفي عمن عسى أن يكون المتصل، وما إذا كانت آني تواجه مشاكل في العمل. استأذنت ثم سارت إلى الردهة: «هالو، صوفي فيرن».

قالت هذا بحذر، متوقعة أن تسمع صوت آني المعتذر.

- هالو، صوفي فيرن.

ارتجفت لسماعها هذا الصوت العميق فيما تابع صاحب الصوت يقول: «لقد استدعيت اليوم إلى أثينا في عمل، وأنا باقٍ هنا الليلة. لمعرفتي بنظام أمي الحازم، أظنك الآن تتناولين العشاء. لذا لن آخذ الكثير من وقتك. سآتي لأخذك غداً عند الساعة السادسة فكوني مستعدة. اتفقنا؟ ولا تأكلي كثيراً أثناء الغداء هذه المرة».

- ماذا؟

جمدت في مكانها وهي تحدّق إلى السماعة. وأخيراً قالت: «لا أظن ذلك، يا أندريس. لا أظن من الصواب أن أترك جيل بهذا الشكل. كما أن ذلك سيبدو قلة تهذيب بالنسبة إلى والديك».

- سبق وتحدثنا في هذا الأمر وأجمع الكل أن هذا هراء. لا أحد يفكر بهذا الشكل، يا صوفي.

لم يكن ثمة مجال للرفض في هذا الصوت الهادىء الحازم. جذبت صوفي نفساً عميقاً، وقالت: «هذا هو رأيي مهما كان الأمر».

- لا أظن أن ذلك هو السبب على الإطلاق، بل أنت خائفة من وجودك معي. أليست هذه هي الحقيقة؟ اعترفي بها.

فقالت كاذبة بحرارة: «والآن، أنت الذي تقول الهراء».

فقال بسرعة: «أثبتي ذلك وتعالي معي غداً مساءً».

- لا.

جاء رفضها فاتراً ولم تزعج نفسها بإبداء مزيد من الأعذار. عليه فقط أن يقبل بأن لا تعني لا!

- اتفقنا إذن. الموعد هو السادسة.

وأقفل الخط. لم تستطع صوفي أن تصدّق ذلك، فوقفت مذهولة للحظة

أو اثنتين، وأخذت تحدّق في أنحاء الردهة الرائعة الهادئة، وهي تسمع همهمة الحديث الآتي من غرفة الطعام، ثم ضحكة جيل، ثم قهقهة إيفانجيلوس من خلال طنين أذنيها. لقد أقفل السماعة في وجهها. وذلك بعد أن حشرها في موعد متسرع لم تقبل به، ورفضته بإصرار. حسناً، يمكنه أن يفعل ما يشاء. إنها لن تذهب مع أندريس مرة أخرى في موعد.

انتظرت إلى أن همدت الحرارة في وجنتيها، ثم عادت إلى غرفة الطعام. وعندما رفعت جيل حاجبيها متسائلة، أجابت بابتسامة حذرة: «كان ذلك أندريس».

قالت هذا بهدوء، واعية أن ديميترا وإيفانجيلوس قد جمدا مكانهما لبرهة قبل أن يتابعا تناول طعامهما.

- آه، نعم؟ ماذا يريد منك؟.

لم تكن جيل معروفة قط بلباقتها، مع أن صوفي كانت ترجو، ولو مرة واحدة، أن تتحلى أختها بالقليل منها. لكن هذا لم يحدث.

- أراد أن يخبرني أنه ذاهب إلى أثينا في رحلة عمل.

قالت هذا بلهجة عرجاء راجية أن تكون أختها من الفطنة بحيث تفهم دلالة النفور في صوتها فتسكت. لكن إيفانجيلوس قال لزوجته: «آه، نعم. ذلك لأجل عقد تريبولوس. هل تتذكرين أنني أخبرتك عنه يا عزيزتي؟».

وتكهنت صوفي بأن الرجل إنما قال ذلك ليخفف من ارتباكها هي قبل كل شيء، خصوصاً بعد أن أشركها مع جيل في الحديث: «أندريس رجل أعمال رائع، وأنا أضيع من دونه. لكنني أظنه يرهق نفسه أحياناً بالعمل».

فقالت ديميترا بنبرة ملؤها الأمومة: «ذلك لأن ليس لديه زوجة يعود إليها في الليل. إنه بحاجة إلى زوجة. وقد أخبرته بذلك مرات كثيرة. لقد حان الوقت ليستقر».

فقال زوجها بابتسامة جافة رافعاً حاجبيه: «ربما لهذا السبب لم يبحث بعد عن واحدة».

- إنه يظنني أماً مزعجة بكثرة اهتمامها.

لم يكن في صوت ديميترا أي مرارة، وإنما بدت عيناها مليئتين بالحب وهي تنظر إلى زوجها متابعة كلامها: «لكنني أعرف حبيبي أندريس. إنه لن يرضى أبداً بمخلوقة جميلة جداً وفارغة الرأس ممن يلقين بأنفسهن عليه. ومع ذلك، فهو بحاجة إلى زوجة، فتاة من النوع المناسب».

بدا صوت ديميترا مرحاً ونظراتها ثابتة وهي تبتسم لهم جميعاً. ولكن، عندما تابعوا تناول الطعام، شعرت صوفي بأن والدة أندريس كانت تعني أكثر بكثير مما قالت. هل من الممكن أن تظنها تهدف، هي صوفي، إلى شيء ما بالنسبة إلى أندريس؟ أخذت صوفي تتساءل برعب، وكادت تختنق بقطعة من الفلفل الأخضر عندما راودتها هذه الفكرة، فأسرعت تأخذ جرعة من الماء. أترى ديميترا تنذرها، بلباقة، دون أن تقول شيئاً بصراحة؟ قد يبدو الأمر وكأنها هي من تلقي بنفسها على أندريس، في نظر والديه، باعتبار أنها خرجت معه إلى العشاء الليلة الماضية، وتأخرت في العودة حتى الصباح. ماذا سيقولون لو عرفوا أنه دعاها إلى الخروج معه غداً مساء؟

أخذت ترشف قهوتها مفكرة، مشتركة بالحديث بشكل آليّ. أما عقلها فقد انشغل بالتفكير في أحسن طريقة للاتصال بأندريس لتخبره بأنها لا تنوي، حتماً، حتماً أن تخرج معه مرة أخرى.

سألتهم ديميترا عما إذا كانوا يحبون تناول القهوة في الفناء مرة أخرى. وعندما نهض الجميع ليخرجوا إلى حيث هواء الليل العليل المعطر، شعرت صوفي بيد على مرفقها: «صوفي؟».

تكلمت ديميترا بصوت منخفض، بينما خرج زوجها وجيل من غرفة الطعام.

- نعم!

وأرغمت صوفي نفسها على الابتسام وهي تنتظر كلمة تحذير مهذبة في ما يتعلق بأندريس. لا يمكنها أن تلوم ديميترا، لقد تزوج ابنها الأكبر من امرأة إنكليزية ثم فقدته إلى الأبد. وهكذا من الطبيعي أن تفضل ديميترا أن يتزوج ابنها من فتاة يعتبرها والداه «فتاة يونانية جيدة»، فتاة من طبقتهم وتأتلف مع حضارتهم. وهذا يعني أن أي تورّط له، مهما كان مؤقتاً، مع شقيقة جيل، غير مقبول من والديه.

- يريد أندريس أن يراك مرة أخرى، أليس كذلك؟

كان ذلك بمثابة بيان واقع، اندفعت ديميترا بعده تقول: «عذراً يا عزيزتي لتحدثي معك بهذه الطريقة عن مسألة لا تخصني، لكنني أشعر بأن عليّ أن أخبرك...».

- نعم؟

لم تلحظ صوفي في صوت ديميترا أي أثر للتهجم مهما كان رقيقاً. وتابعت هذه الأخيرة تقول: «إنه ليس منطوياً على ذاته، رغم أنه يعطي هذا الانطباع عن نفسه».

قالت ديميترا هذا برقة وارتباك احمرّ له وجهها وتابعت: «بالنسبة إلى العالم الخارجي، هو أندريس كاريديس الرئيس الفعلي لامبراطورية شحن بحري واسعة، يحكمها بصلابة وقسوة ومهارة. ولديه معرفة بديهية بأناس يستخدمهم لمصلحته، لكن ذلك جعله متشككاً للغاية نظراً إلى صغر سنه. وبكلمة أخرى، هو ليس أحمق».

- أظنني أدركت ذلك أثناء الدقائق الخمس الأولى من تعارفنا.

قالت صوفي هذا بهدوء. لا أحد يمكنه أن يظن أندريس أحمق!

- إنه يميل إليك.

قالت ديميترا هذا ونظراتها الرقيقة ثابتة للغاية. وفجأة، أدركت صوفي أن هذه المرأة هي أكثر صلابة مما كانت تظن فيما أكملت ديميترا حديثها: «وهو لا يحب الكثير من الناس، مع الأسف. ربما هو يستغل أولئك النساء الحمقاوات اللواتي يلقين بأنفسهن عليه... لكنه لا يسمح لأي شخص بأن يلمس الرجل الحقيقي في داخله. والرجل الذي في داخله هو رجل طيّب. وطبعاً، أنا أمه يجب أن أعترف بأنني متحيّزة، لكنني أعرف أنه بحاجة إلى سعادة وسلام ككل رجل آخر».

- ديميترا، أنا لا أبحث حالياً عن علاقات.

قالت صوفي هذا برقة، كما أنها لم تكن واثقة تماماً بالنسبة إلى مسألة ميله إليها، فهي وأندريس لا ينفكّان عن قذف بعضهما البعض بالشرر. لا شك في أن الجاذبية الجسدية موجودة بينهما، ولكن بالنسبة إلى الميل إليها... هذا ما لا يمكنها أن تقوله. أومأت ديميترا ببطء: «أظنني أعلم هذا، ولكن...».

وهزت كتفيها، ولم تكمل ما أوشكت أن تقوله، ثم ابتسمت لصوفي قائلة: «لا بأس، فأنت لن تخبري أندريس بأنني تحدثت معك عن كل هذا، أليس كذلك؟ وإلا سيتكدّر مني جداً».

- طبعاً لا.

ظلت صوفي غير واثقة مما يعنيه حديث ديميترا إليها بالضبط! اشتبهت في أن المرأة كانت تحاول أن تعرف إذا كانت مستعدة لأن تكون إحدى نساء أندريس. وخيل إليها أن هناك إنذاراً مغلفاً بالمخمل في حديث ديميترا عن النساء اللواتي تدفعهن حماقتهن إلى إلقاء أنفسهن على أندريس. ولم تشكّ في أن هناك الكثيرات. زاد من دهشة صوفي من نفسها، أنها عندما أخذت تسير هي وديميترا لتلتحقا بالآخرين خارجاً، وسألتها ديميترا بصوت خافت عما إذا كانت سترى أندريس مرة أخرى، أجابتها بهدوء: «غداً مساء. لقد

دعاني إلى تناول العشاء معه، وهو سيأتي ليأخذني عند الساعة السادسة».

قررت صوفي أن لا تهتم بما ستلبسه هذه المرة، بعد أن أخذت حماماً عصر اليوم التالي، ووقفت أمام خزانتها تنظر إلى الثياب التي أحضرتها معها. تناولت ثوباً باهت الزرقة غير متناسق الحاشية، ووضعته على السرير، ومعه سترة قطنية من اللون نفسه. وحدثت نفسها بحزم بأنها اتخذت قرارها. جففت شعرها، ووضعت زينتها، ثم استعدت للنزول والجلوس مع جيل وميشيل عند الساعة الخامسة والنصف، وكان ميشيل يستعد لتناول الشاي في الفناء.

- هذا حسن جداً، تبدين جميلة.

وابتسمت جيل لأختها، ولكن ابتسامتها لم تصل إلى عينيها. ولاحظت صوفي أن عيني أختها مليئتان بالانزعاج فسألتها: «ما الأمر».

- لا شيء طبعاً.

ردّت عليها جيل ببشاشة، وعندما لم تتغير ملامح صوفي الجافة، قالت جيل بهدوء: «لا تتعمقي أكثر مما ينبغي، يا صوفي. لا تنسي أن أندريس هو أخو ثيودور».

قالت ذلك بتحفظ وبصوت غير معبّر. فردّت صوفي بسطحية، مراعية وجود ميشيل: «لا تنسي أنهما يشتركان في الأم فقط، وديميترا هي الحب كله. كما أن إيفانجيلوس رجل طيّب».

ولم تعرف صوفي ما الذي يجعلها تدافع عن أندريس.

. آه، أعلم هذا. ديميترا وزوجها طيبان، ولكن. . .

وسكتت فجأة، ثم هزت رأسها وكأنها لا تعرف كيف تعبّر عن شكوكها، فأمسكت صوفي بيدها تضغط عليها قائلة: «لا تخافي. إنه مجرد عشاء فقط، وسيدرك بعده أنها النهاية بيننا. لقد أوضحت له تماماً أنني لا

أبحث عن الحب. إنه ليس الطراز الذي يعجبني».

- أندريس لا يتلاءم مع طراز خاص.

تبادلت المرأتان النظر لحظة. ولكن لم يعد الوقت يسمح بمزيد من الحديث لأن صوتاً عميقاً انبعث من مكان ما، يعلن وصول الشخص موضوع الحديث مبكراً. وقفز قلب صوفي. قاومت دافعاً يدفعها لأن تقفز من مكانها، فوقفت ببطء وسارت بهدوء إلى الردهة، حيث كان أندريس واقفاً يتحدث مع أبيه عن العمل، قبل أن يلتفت ويراها.

كاد قلبها يوشك على الانفجار، لكنها بدت هادئة منضبطة لرؤية الرجل الأسمر الكبير الحجم الذي راح يتأملها بإمعان. ضاقت عيناه قليلاً وهو يلحظ شعرها الحريري اللامع، وأناقتها الكلاسيكية العفوية، بثوبها البسيط وحذائها الذي تبرز منه أصابع قدميها. حياهما إيفانجيلوس مودعاً ثم خرج من حيث دخلت صوفي بحجة رؤية جيل وحفيده، تاركاً إياهما واقفين تحت أشعة الشمس في الردهة.

- افتقدتك يوم أمس.

قال أندريس هذا برقة، رافعاً يده ليلامس ذقنها بإصبعه. كان يرتدي بذلة صيفية رائعة التفصيل ذات لون رمادي، وقميص أبيض، مع ربطة عنق رمادية من الحرير الثمين نفسه. فبدا في كل ذرة منه ملك المال المتفقّد الوافر الثراء. طرفت صوفي بعينيها. سببت لها رؤيته من الاضطراب أكثر مما فعلت أفكارها كلّها طوال الأربع والعشرين ساعة الماضية. فقالت له بثبات قدر ما يسمح به قلبها الخفاق: «أنت لا تكاد تعرفني، فكيف تفتقدني؟».

فقال وهو يسمّرها بنظراته: «الزمن نسبي، وإلا بماذا تفسرين حقيقة أنك قد تعرفين بعض الناس طوال حياتك، ولا يكاد يلامس ذلك السطح، بينما آخرون. . . آخرون يصبحون ذوي أهمية خلال دقائق؟».

وابتسم ببطء. ولم تعرف بما تجيب، فلم تقل شيئاً. وبعد لحظة نظر إليها من خلال عينين شبه مغمضتين وقال: «هل أنت جاهزة؟ هل ودعتهم؟».

جعلها تشعر وكأنها مغادرة إلى الأبد. ولكي تجعله يدرك ما هي مصممة عليه بالنسبة لهذا الموعد، قالت بحزم: «لا يمكنني أن أتأخر مرة أخرى يا أندريس. هذا ليس مناسباً بالنسبة لبقية سكان المنزل».

نظر إليها بقوة، ثم التفت إلى قدميها وسألها بدهشة بالغة: «أين هما؟».

- ماذا؟

وتابعت نظراته إلى قدميها فأجاب وعيناه تلمعان هزلاً: «الخفان الزجاجيان. أليس ذلك ما كانت تلبسه ساندريللا؟ ولكن لا تخافي، مع ذلك ستذهبين إلى الرقص يا ساندريلا».

- هذا مضحك جداً.

لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك. وأمسك أندريس بيدها ضاحكاً في عينيها وهو يقول: «هيا بنا يا امرأة، لا وقت للحديث معك، فأنا أكاد أموت جوعاً».

دهشت صوفي وهي ترى سيارة صغيرة رياضية جاثمة أمام الباب. وسألته بسرعة: «أين بول؟». أن يكونوا ثلاثة في السيارة، هو أكثر أماناً، كما فكرت.

- أنا لا أستدعي بول دوماً. بالأمس قدت السيارة إلى المطار بنفسي وقد عدت منذ ساعة أو ساعتين فقط. أنا سائق جيد فلا تخافي.

قال هذا بتواضع. ولم تكن تشك في ذلك، لكن السيارة بدت لها آلة جهنمية بمقعدين أماميين منخفضين، وصندوق طويل ضخم. لم تكن قد تخيلت بداية الأمسية على هذا النحو. صرفت بأسنانها، ثم سمحت له بأن

يساعدها على الصعود إلى مقعدها حيث تملكها شعور غير مريح بأنها على مستوى الطريق. كان الداخل مصنوعاً من الجلد، ولوحة الأزرار تبدو وكأنها جاءت من أحد أفلام جايمس بوند. وعندما جلس أندريس بقربها، أدركت أنه قريب جداً منها. ابتلعت ريقها بصعوبة، وأرغمت نفسها على عدم الحركة. وخلال لحظات، هدرت السيارة ثم قفزت إلى الطريق. وعندما وصلا إلى البوابة سألته: «إلى أين نحن ذاهبان؟ هل المكان بعيد؟».

- إنها مفاجأة.

كانت كلمة هادئة موجزة وقف لها شعرها، فقالت: «لا أحب المفاجآت».

فقال بلهجة سارة: «أرغمي نفسك على ذلك».

فكرت صوفي أن من الأفضل أن تحاول الاحتفاظ بجسدها وروحها معاً في هذه السيارة المخيفة، لا سيما أن أندريس قريب منها بحيث لا تستطيع أن تضع دبوساً بينهما، ويداه القويتان الحازمتان قابضتان على عجلة القيادة، بينما تحدّق هي من خلال الزجاج الأمامي الفسيح!

كان أندريس يقود السيارة كما يعيش، بسرعة وقسوة. وجدت نفسها تفكر مراراً بأنهما إذا وصلا إلى مقصدهما سليمين بمعجزة، ستصرّ على أن تعود إلى بيتها في سيارة أجرة. مضت عشر دقائق قبل أن تدرك أنها أخذت تشعر بالارتياح والاستمتاع بالرحلة. وعندما ألقت عليه نظرة جانبية رأت فمه الحازم ملتوياً، فتمتم ساخراً: «هل أنت على ما يرام؟ المرة الأولى ليست هي دوماً الأفضل».

بدا من ملامحه أنه كان واعياً طوال الوقت إلى توتر أعصابها كما بدا أنه يستمتع بذلك. يا له من متوحش! لا يظنّ بأنها سترّد على المعنى المزدوج الذي تعرف جيداً أنه يعنيه في جملته الغامضة تلك. فقالت ببشاشة: «أنا بأحسن حال. هل اقتربنا من المكان؟».

- عدة دقائق أخرى.

مرت عشر دقائق أخرى، وإذا بالسيارة تتجه بهدوء لتمر من خلال بوابة تفتح بطريقة آلية، انغلقت بصمت خلفهما، ثم تابعت السير لتستقر أمام ڤيلا طويلة منخفضة، مبنيّة بحجارة عسلية وسطحها مغطى بالقرميد المرقط بأشعة الشمس. قالت صوفي بنبرة ملؤها الإتهام: «هل هذا بيتك؟».

أوقف أندريس المحرك، ثم استند إلى الخلف في مقعده وهو يضع ذراعه على مسند مقعدها قائلاً: «هل لديك مانع؟ أنا متغيب عن المنزل منذ يومين، أريد أن أغتسل وأغيّر ملابسي وأرتاح. كما أن زوجة بول تطهو بشكل أفضل من أي طباخ أعرفه، وهكذا ستتناولين عشاءً لذيذاً».

- هل يقيم بول وزوجته معك؟

- إن لديهما ملحقاً خاصاً بهما بجانب المنزل. وهكذا ستكونين آمنة تماماً يا ساندريلا.

قال جملته الأخيرة ساخراً، فحملقت فيه غاضبة لسهولة قراءته لأفكارها، وقالت: «لم أشعر قط بعدم الأمان».

لكنه ترك السيارة قائلاً: «يا للكذابة الصغيرة!».

تجاهلت قوله هذا وحاولت النزول من السيارة، لتدرك أنها بحاجة إلى مساعدة اليد الممدودة إليها لتساعدها وعيناه على بشرة ساقيها الذهبيتين، والإعجاب يتألق فيهما ما جعل الدم يصعد إلى وجنتيها وهي تقف على الأرض بجانب السيارة.

كانت الفيلا متوارية عن الطريق كلياً بالأشجار، واستدارت صوفي لتلقي نظرة شاملة على المكان، وإذا بنظرها يقع على منظر البحر خلف الورود العطرة، ما جعلها تهتف متسعة العينين: «هل يطلّ بيتك على البحر؟».

- نعم الحديقة تمتد حتى الشاطىء.

- ما أروع هذا!

وعندما انفتح الباب عن امرأة صغيرة الحجم تقدمت لاستقبالهما، أمسك بذراعها. وكان بول، وهو يماثل زوجته حجماً، يقف خلفها. وبعد تعارف مختصر، قاد أندريس صوفي إلى داخل المنزل. في غرفة الجلوس رأت صوفي جداراً زجاجياً مع أبواب زجاجية ما يسمح برؤية المنظر الرائع، وفي خارجها هناك سلم منخفض الدرجات من الحجر يهبط إلى حديقة متدرّجة، يحيط بها من ثلاث جهات نبات الخنشار وأجات أزهار زرعت في أصص ضخمة من الفخار. وفي وسط الحديقة قامت عدة مناضد وكراسي ومتكآت مستطيلة من القماش، كما لاحظت أن هناك المزيد من الدرجات التي تؤدي إلى الحديقتين التاليتين، اللتين تنتهيان عند الرمال البيضاء على شاطىء البحر الأزرق.

قامت حول الحديقة أشجار السرو، وفاحت منها رائحة الأزهار الثقيلة الحلوة، التي تمتزج برائحة البحر المالحة المميزة. الأزهار والأشجار والأعشاب الخضراء.. بياض الرمال في الخلف.. وزرقة البحر.. إنه جمال يحبس الأنفاس! وقد بدا البحر وكأنه صفحة متألقة من الحرير..

قال أندريس برقة وهو يرى عينيها المأخوذتين: «هذا جميل جداً، أليس كذلك؟».

.بل إنه شيء لا يصدّق:

وافقها أندريس بنعومة، ثم انحنى ملامساً شعرها بخده، ما أرسل رعشة في كل عصب منها. ملأت رائحة عطره خياشيمها ممتزجة برائحة الأزهار والبحر وأشعة الشمس وشيء آخر.. شيء يفيض بالرجولة والعنف، بحيث أرادت أن تتطاول لتمرّ بيديها على كتفيه العريضتين وتتخلل شعره بأصابعها وتقترب منه أكثر فأكثر.

- إجلسي، وستحضر لك أليثيا شراباً.

قال هذا وهو يقودها إلى منضدة تظللها شجرة «جاكاراندا». ثم تابع يقول: «بالإضافة إلى أن بول ساقي، فهو يصنع نوعاً من الكوكتيل لم تذوقي مثله أبداً. وفي مثل هذا الوقت من المساء، بعد المشاق التي عانيتها، لا ينفعني شيء سواه. أما أنا فلن أتأخر عليك».

وهكذا جلست وسط هذا الجمال الآسر المحيط بها، وعيناها تجولان في هذا المشهد الجذاب، وهي تتنشق شذا الأزهار وترشف كوكتيل بول الذي كان لذيذاً كما وصفه أندريس.

عاد إليها بعد دقائق وشعره الرطب مكوّر قليلاً فوق حاجبه، ما أسبغ على الوجه الصلب الوسيم صبيانية بالغة الحيوية. مدّ أندريس ساقيه الطويلتين وهو يتنهد راضياً، مفرغاً كوبه في جوفه بجرعتين، ثم عاد فملأه من الإبريق الذي أحضره معه. ولم يلبث إن وضع الكوب بجانبه وأغمض عينيه، ووجهه مرفوع إلى الشمس.

- أريدك أن تدعيني أعرّفك على بلادي أثناء وجودك هنا.

نظرت إلى جسمه القويّ ووجهه الوسيم، ولاحظت مبلغ كثافة أهدابه المسدلة على وجهه الذي لوحته الشمس. وقالت بصوت أبح قليلاً: «هذا لطف بالغ منك، لكنه ليس ضرورياً».

- لا تكوني إنكليزية إلى هذا الحد.

كان يتكلم برفق، لكنها لم تُخدع بتصرفاته المسترخية، وتابع هو يقول: «هناك آثار رائعة غير بعيدة من هنا، وهذا لا يكلفنا سوى قضاء ليلة أو ليلتين في مكان غريب في تيسالونيكي، فهناك متحف رائع فيه مجوهرات الملك فيليب، وفي بيلا مسقط رأس الاسكندر الكبير، حيث الفسيفساء اليونانية القديمة. ولا يمكنك أن تغادري اليونان دون أن تزوري الأكروبوليس وجبل الأولمب...

بالإضافة إلى أماكن أخرى يمكننا أن نصل إليها بالسيارة».

لم تسمع صوفي أي شيء بعد قوله قضاء ليلة أو ليلتين. جذبت نفساً عميقاً وقالت بهدوء: «أنت تعلم أن هذا مستحيل. لا يمكنني أن أذهب معك إلى أي مكان».

- لِمَ لا؟ طلبت مني أن أحدثك عن اليونان وبدلاً من ذلك سأريك إياها، وهذا أفضل بكثير. أليس كذلك؟

- لا! باعتبار أن هناك جيل، وكذلك عملك.

فتح أندريس عينيه وانتصب جالساً، ثم قال: «أنا الرئيس، ويمكنني أن آخذ عدة أيام إجازة إذا شئت. وأنا أعلم أن جيل وميشيل تلقيا دعوة إلى رحلة بحرية على يخت والديّ ستيفوس. فإذا علمت جيل أنك مشغولة عنها، لن تشعر بالذنب لتركها لك».

شعرت صوفي بجرح في كرامتها لأن أندريس يعلم أكثر مما تعلم. وقالت: «لم تخبرني جيل بشيء عن الرحلة».

- ربما لأنها لم تعلم بعد. لكن والد ستيفوس يعمل عندي وقد أخبرني عن نيته تلك، فرأيت أنها فكرة ممتازة.

حدقت صوفي إليه. لو أن ذلك ليس احتمالاً بالغ الجرأة، لظنت أن أندريس طلب من والد ستيفوس بأن يفعل ذلك. ولكن ذلك أمر بالغ السخافة، فهو لن يفعل كل ذلك لمجرد أن يكون بجانبها. وكررت قولها بحزم: «على أي حال، لا يمكنني أن أذهب معك، وأنت تعلم هذا».

منحها ابتسامة لم تصل إلى عينيه، ثم قال بلطف: «بل يمكنك أن تفعلي ذلك بالضبط».

- مهما كان ظن والديك؟

فقال بلطف: «بأنني مضيف ممتاز؟».

- هه!

وحلقت فيه، وهي لا تصدق أنه جاد في قوله هذا. فنظر إليها لحظة متأملاً قبل أن يقول: «هل هذه علامة تعجب منك خفية؟».

بدا واضحاً أنه كان يتصنع البلاهة، فقالت صوفي: «أنت تعلم تماماً ما تعني هذه».

قالت ذلك غاضبة، وهي تجرع بقية كوبها في غضبها هذا. ثم تابعت: «سيبدو الأمر وكأن...».

وسكتت فجأة وهي ترى التسلية تزحف إلى عينيه، كما أن فمه الحازم التوى قليلاً. إنه يضحك منها! فصرفت بأسنانها وتابعت: «... وكأننا أكثر من مجرد صديقين».

تأملها أندريس لحظة ثم قال: «أعدك بأن تكون لدينا غرفتان منفصلتان. وسأخبر الجميع بذلك، رغم أنني لا أعلم ما هو السبب الذي يجعل راشدين مثلنا يهتمان لأي كان؟».

قال ذلك وكأنها تبدو غير عقلانية في تفكيرها. فقالت بصوت كالفحيح: «لأنني لست بذلك الشكل، ولا أريد أن يأخذ والداك عني فكرة سيئة. لا أتصور قط أن أذهب إلى السرير مع شخص لا أكاد أعرفه».

فقال بابتسامة حادة كالسيف: «بالضبط. وأفضل طريقة لمعرفة الشخص هو أن تمضي معه بعض الوقت، أليس كذلك؟ دون ارتباط مطلوب وخاصة من ناحيتك. أنت شقيقة جيل، وميشيل ابن أخي كما هو ابن أختك، وهكذا، نحن مدينان لهما بأن نكون لطيفين مع بعضنا البعض. أليس كذلك؟».

- هذا أسوأ شيء سمعته. لا أصدق أنك تستغل طفلاً بريئاً للوصول إلى غرضك.

وكشرت لتمنع نفسها من إظهار التسلية لنفاقه الواضح. فقال دون أين ندم: «وكذلك أنا. فهذا يريني إلى أي حد جرحتني. عليك أن تخجلي من نفسك».

- أنا؟ أنا أخجل من نفسي؟

ما من سبيل يجعلها توافق على مثل هذا الاقتراح الجنوني الخطير.

- قولي إنك ستأتين معي، يا صوفي.

ونهض واقفاً بسرعة وجرّها معه. وككل مرة، لكنته في اللغة الإنكليزية تمنح اسمها رنيناً عذباً لا تسمعه إلا منه. ثم انحنى يعانقها عناقاً طويلاً جعل أنفاسها تتقطع وساقيها تضعفان. كانت حرارة الشمس قد خفت عن ذي قبل، وأصبح الجو حولهما رقيقاً عذباً، وفوقهما حلق طائر نورس وحيد مطلقاً زعقاته الكئيبة في الريح. ولم يعد أي شيء حولها حقيقياً، ما عدا أندريس...

وهمس بالقرب من أذنها يقنعها: «عدة أيام فقط خارج الحياة الحقيقية. سيكون وقتاً ذهبياً نذكره على الدوام. سيكون ذلك رائعاً».

وأحاط وجهها بيديه، فاحست بهما رفيقتين بشكل لا يصدق بالنسبة إلى رجل بهذا الحجم. وتابع يقول: «عدة أيام فقط».

كان يحرك يديه ببطء، فيلامس جبينها، وصدغيها، وجفنيها ووجنتيها... كان الدم يسري في عروقها مثقلاً بالمشاعر، ورائحته تحيط بها، بينما يداه تستمران في عملهما السحري. شعرت به يرتجف وهو يشدّها إليه، ثم، وكأنه أدرك أن تحكمه في نفسه أخذ ينهار، أبعدها عنه قليلاً، ثم عانقها بقوة لآخر مرة قبل أن يقول: «قولي نعم، يا صوفي».

رفعت جفنين ثقيلين، وأفكارها مشتتة، وهي محبوسة الأنفاس بسبب تدفق المشاعر التي أشعلها في كيانها...

- أندريس...

- قولي نعم.

أمرها بذلك مرة أخرى وعيناه تلمعان وهو ينظر إلى وجهها المتوهج وتابع يقول: «لن يحدث شيء لا تريدينه، أعدك بذلك».

- أتعدني بذلك؟ هل تعدني بغرفتين منفصلتين، ولا شيء زائد عن الحد؟

- إذا كان هذا ما تريدينه.

- هذا ما أريده.

- فليكن إذن.

وهذا ما كان...

٨ - سأرحل، لأنني أحبك

- ماذا؟

جاء صوت جيل خشناً وليس رقيقاً كعادته. وحدقت صوفي إليها، وسرّها أنها انتظرت أن تصبحا وحدهما لتحدثها عن رحلتها مع أندريس. فقد أخذ إيفانجيلوس وديميترا حفيدهما لزيارة أصدقاء لهما يملكون إصطبلات للخيل. لكن جيل، التي كانت تفضل ركوب الخيل في الحقول الآمنة، ولا تستمتع بالمطاردة، فضّلت البقاء في البيت.

- قلت إنني سأذهب في رحلة صغيرة للتفرج على الآثار معه وذلك ليومين، وهذا كل شيء. وقد أوضحت له أن الأمر لن يكون فيه ما يستوجب الإدعاء بأننا زوج وزوجة، ولهذا سيحجز لنا غرفتين، إذا كان ذلك ما يزعجك.

- لا أصدق أنني أسمع هذا! هل هي الشمس أم هو شيء آخر أثّر على عقلك؟

وحدّقت إليها جيل بعينين واسعتين. وفي الواقع هذا ما كانت صوفي تفكر به منذ أنزلتها سيارة الليموزين أمام البيت الليلة الماضية، ثم رأتها تبتعد وأندريس جالس بجانب بول. رأته فجأة، وقد عاد غريباً كما كان من قبل. لكنها لم تشعر به كذلك عندما كانت معه في بيته، بل بدا رفيقاً ساحراً ورائعاً طوال المساء. ولم تصدمها فداحة وعدها ذاك له، إلا بعد أن وقفت على الدرجات تنظر إلى السيارة وهي تبتعد.

- أعني أنك كنت دوماً تحاولين أن تمنعيني من القيام بالأشياء الخاطئة. فهذه ليست عادتك يا صوفي. ثم مع أندريس.. من بين كل الناس!

كلا، هذه ليست عادتها. وحاولت صوفي أن تخفف من الذعر الذي كان يتملكها من وقت لآخر منذ جلست في غرفتها الليلة الماضية، ولم تستطع أن تنام سوى ساعتين. وعادت تقول لجيل ولنفسها معاً: «إنهما مجرد يومين فقط، وهذا لا يعني شيئاً».

- أنا واثقة من أن هذا لا يعني شيئاً. أعني بالنسبة إلى أندريس.

وعندما أجفلت صوفي بشكل واضح، قالت جيل بسرعة: «آسفة يا أختي، لكنني لا أريدك أن تتألمي. أندريس هو . . . حسناً، إنه من أولئك الرجال الذين يملكون كل شيء، أليس كذلك؟ ثم إن النساء يلاحقنه باستمرار. إنه أكثر قدرة على أن يعتبر هذا مجرد غزل بسيط، ويتوقع منك أن تعتبريه كذلك. وأنه مجرد وقت جميل أمضيتماه معاً دون ندم في ما بعد . . . لكنك أنت لست كذلك، المشكلة هي. . .».

وسكتت، فسألتها صوفي: «ماذا؟ ماذا كنت ستقولين؟».

- المشكلة هي أن ظاهرك غير باطنك. لم أدرك ذلك عندما كنا أصغر سناً. فكنت آخذك أمراً مسلّماً، كما أظن، ولكن بما أننا لم نعرف أبانا. . . فقد أثر ذلك عليك أكثر من تأثيره عليّ أنا. أنت اعتدت أن ترعيني وتحميني من أمور كثيرة، ولكن كل ذلك يعني أنك. . .».

وسكتت مرة أخرى، فسألتها صوفي: «أنني ماذا؟ هيا يا جيل، تكلمي».

فأمسكت جيل بيد أختها قائلة: «أنت أكثر تضرراً».

قالت جيل هذا كارهة، ثم انتظرت النتيجة.

- أكثر تضرراً!

وكان الآن دور صوفي في الهياج. نزعت يدها من يد أختها، ثم وقفت وسارت خارجة من الفناء الذي كانتا جالستين فيه تستمتعان بأشعة الشمس، ثم التفتت تواجه أختها مرة أخرى وقد احمر وجهها.

- أنا متأكدة من أنني لم أتضرر، ولو أن أحد غيرك تجرأ على قول ذلك لنال صفعة مدوّية. لا أستطيع أن أصدق أنك تظنين ذلك عني.

- إصغي إليّ يا صوفي. أنا لا أنتقدك، ولكنك اعتدتِ أن تنظمي كل شيء في حياتك، وأن تتحكمي في نفسك.

- تلك ليست جريمة أو عيب في الشخصية. وفي الواقع، معظم الناس يعتبرون ذلك ميزة. وقد أوصلتني شخصيتي هذه إلى مهنة عظيمة على كل حال. والآن، أليس هذا صحيحاً؟

فقالت جيل بهدوء: «ماذا عن الرجال؟ أنت دوماً تختارين من الرجال ذوي الطبع الهادىء السلس، من طراز المعلمين. رجال غير عمليين ومتواضعين بصفة عامة. . . النوع اللطيف الراعي من الرجال».

حلقت صوفي فيها: «هكذا إذن! لا عيب في ذلك أيضاً».

- حسناً، لا يمكنك أن تعتبري أندريس من تلك الفئة، ولو من بعيد.

حدّقت الواحدة منهما بالأخرى دقيقة كاملة قبل أن تعود صوفي أدراجها وتجلس مرة أخرى، ثم تأخذ جرعة طويلة من القهوة قبل أن تقول: «أنا أعرف ذلك. أعرف بالتأكيد».

- من الواضح أن هناك شيئاً بينكما، بدا ذلك واضحاً منذ اليوم الأول. حتى إن أبويه لاحظا ذلك. ولكن ربما هذا يحدث بالنسبة إلى أندريس. . .

وسكتت فجأة وقد احمر وجهها، فأكملت صوفي لها حديثها بتوتر: «. . .مئات المرات، هل هذا ما تقصدينه؟».

- حسناً، نعم. لكنك لست مثله. إنهم لا يعرفونك كما أعرفك، وأنا أعلم أن أندريس قد لمس شيئاً عميقاً في داخلك كي يجعلك كما أنت عليه الآن. لكنه قد يسبب لك الألم ويحطمك، حتى دون أن يعلم يا صوفي. ألا تفهمين؟ دون أن يعلم ما صنع.

أصغت صوفي بجمود إلى مخاوف عقلها الباطن وأختها تنطق بها. لم تحاول أن تجادل جيل أكثر من ذلك، لأنها تعلم أن أختها تقول الحقيقة. انجذابها العنيف هذا نحو أندريس كان شيئاً جديداً عليها، وقد أخافها بقدر ما أبهجها. حتى إنها الليلة الماضية، حين كانت ملتفة بسحره، شعرت بقوة بأنها في دائرة الخطر. ربما كان ذلك جزءاً من ذلك... نوعاً من الثورة المجنونة ضد تلك السنوات من الطاعة وموافقة الآخرين. معظم المراهقين يمرون بمرحلة تمرد في محاولة لإثبات شخصياتهم، لكنها لم تستطع قط التمتع بمثل هذه الرفاهية.

- إذا قلت لك إنني أعلم أنك على صواب، وإنني سأحرص على عدم التورط، هل هذا يكفي؟ إذا وعدتك أن أبقيه دوماً بعيداً عني؟

- نعم، إذا أنا استطعت أن أتأكد من أنك تنوين ذلك حقاً، وأنك لا تقولين هذا فقط لكي ترضيني.

قالت جيل ذلك بصراحة الأخوات الجافة وهي تتابع: «لكنني رأيتكما كيف تنظران إلى بعضكما البعض».

- أنا أنوي ذلك حقاً. أعدك بذلك. المسألة هي أنني أريد أن أذهب يا جيل. لم أشعر قط بأنني أعيش حياتي كما شعرت في الأيام القليلة الماضية، وأريد أن أحصل على بعض المتعة ولو مرة. لن أتصرف بحماقة، وأندريس يعلم أنني لا أنوي التورط معه، لكنني أريد فقط أن أرافقه لبعض الوقت.

فقالت جيل بأسى: «إذا كنت تتوقعين أن يجعلني هذا أشعر بالرضى، فذلك لم يحدث».

أرغمت صوفي نفسها على ابتسامة سريعة وقالت: «هذا أفضل ما يمكنك الحصول عليه. وهكذا ستتلقين دعوة للذهاب في رحلة بحرية على يخت والد ستيفوس أنت وميشيل، بينما أنا سأجول في هذه البلاد مع أحد أفضل رجالها. لم نحلم قط بأمر كهذا عندما كنا قادمين بالطائرة، أليس كذلك؟».

- آه، يا صوفي، حاذري على نفسك.

بعد ذلك بيومين، عندما خرجت صوفي إلى أشعة الشمس المشرقة بحقيبة ملابس صغيرة إلى حيث كان أندريس جالساً في سيارته الرياضية ينتظرها. كان سطح السيارة مكشوفاً وشعره يلمع في أشعة الشمس، فبدا وكأنه معبود الشاشة الفضية. لا بد أنها مجنونة! ترددت هذه الفكرة في ذهنها بين حين وآخر أثناء الثماني والأربعين ساعة الماضية. ولكن منذ حديثها ذاك مع جيل، اتضحت لها عدة أمور.

كما قال أندريس، ستكون هذه أياماً خارج الحياة الحقيقية... وقتاً ذهبياً لذكرى دائمة. إنها لا تنوي أن تكون جادة معه أكثر مما هو معها. إنها منجذبة إليه جسدياً، وعليها أن تعترف بأنها تحب صحبته... عندما لا يكون صعباً ومعاكساً لها، وهكذا كان... والآن، بعد أن أقرّت هذين الأمرين، بات عليها أن تعود إلى التحكم بنفسها. نعم.. يمكنها مواجهة ذلك. وربما ما زالت مجنونة! لكن بعض الجنون الصيفي له عذره.

كان جوّ الصباح دافئاً رطباً، والشمس مشرقة. وعندما أسرعت صوفي إلى السيارة، نزل أندريس منها وفتح باب الصندوق ليضع حقيبتها.

- صباح الخير.

وعانقها عناقاً سريعاً، ثم تراجع خطوة، ونظراته تحوم فوق بشرتها الحنطية وشعرها الأشقر. كانت ترتدي بنطلوناً قطنياً أبيض وبلوزة حريرية بيضاء ودون زينة على وجهها، فلم تبدُ فوق الحادية والعشرين بيوم واحد،

وقال لها: «تبدين وكأنك روح الصيف».

- أحقاً أنا كذلك؟

وبادلته ابتسامته العريضة، مصممة على البدء بما صممت عليه وترك الأمور مرحة مسلية. تركت نظراتها تحوم على الجسد الكبير القوي في القميص الأسود وبنطلون الجينز. وجعّدت أنفها الصغير مفكرة ثم قالت وهي تلقي عليه نظرة جاذبية ساخرة: «أما أنت فلا!».

هذا الحديث وضع أساساً لأسعد الأيام في حياة صوفي. كان أندريس يعرف البلاد حوله كما يعرف ظاهر يده. في الصباح الأول ذهبا مباشرة إلى تيسالونيكي، عاصمة اليونان الثانية، فزارا الأكروبوليس حيث وقفت صوفي مسحورة بالمنظر حولها، قبل أن يقطعا تذكرة لرؤية مجوهرات الملك فيليب. وبعد الظهر، تناولا الغداء في خان صغير رابض على تلة تغطيها الأزهار. بعد ذلك تابعا إلى بيلا، حيث جالا في المتحف فترة يتفرجان فيها على الفسيفساء القديمة. وكانت هذه خلاّبة رائعة وتُشعر بالوحشة نوعاً ما. وهناك أخذها أندريس إلى مقهى جميل صغير ذي شرفات صغيرة وجدران بيضاء، وبعد ذلك جلسا تحت أشعة شمس المساء الفاترة، ينظران إلى الناس من حولهما بينما هما يحتسيان الشراب المحلي ويأكلان الكفتة وخبز الثوم الساخن على مائدة صغيرة في الخارج. وعندما غادرا المكان، كانت السماء مليئة بألوان تنعكس على صفحة بحيرة ذهبية. فأخذا يجولان خلال شوارع يغمرها شفق الغروب ويسمع فيها نباح الكلاب. كان الظلام ينتشر حولهما، وشعرت صوفي بانعدام الزمن، وبسحر لا تعبّر عنه الكلمات.

الفندق الذي نزلا فيه كان فندقاً عصرياً. وكان أندريس عند كلمته، فتركها على عتبة غرفتها، بعد عناق عميق. واستغرق منها النوم وقتاً طويلاً.

وتبع ذلك يوم ذهبي آخر؛ تكلما، وضحكا معاً، وعانق كل منهما

الآخر، ولكن بقي ذلك بالانضباط الذي فرضته صوفي. شعرت بأنها أصبحت تعرف أندريس بشكل أفضل مما عرفت به أي شخص في حياتها، لكن الأمر الغريب هو أنها كلما ازدادت معرفة به كلما قلّ فهمها له.

عندما اقترح عصر اليوم التالي بأن يمضيا يومين آخرين معاً، لم تمانع. واتصلت هاتفياً بأختها تخبرها بذلك وتسألها عن استمتاعهما، هي وميشيل، بالنزهة البحرية على ظهر اليخت. ثم عادت إلى أندريس وقد امحى كل شخص من ذهنها حالما وضعت السماعة.

زارا أديرة الرهبان البيزنطيين الرائعة التي تربض عالية فوق صخور ميتيورا، وكروم الزيتون في أمفيسا وأماكن أخرى كثيرة. ولكن في ليلة اليوم الرابع، بكت صوفي طويلاً وبشدة حين أوت وحدها إلى غرفتها في الفندق. أترى هذه القصيدة الشاعرية انتهت، وأصبح عليهما أن يعودا غداً إلى الحياة الحقيقية؟ أخذت تسائل نفسها بفتور، ولم تستطع النوم. خرجت في الساعة الثانية صباحاً إلى الشرفة، وجلست تنظر إلى الشوارع الخالية النائمة تحت سماء بعد منتصف الليل المرصعة بالنجوم. ما أسرع ما تعود إلى إنكلترا... إلى سباق الزمن المخيف، القلق، الهائج، الذي ظنت يوماً ما أنها أحبته، فإذا بها تجد نفسها الآن بعيدة عن ذلك كل البعد.

وارتجفت رغم دفء الليل، فقررت أن تعود إلى غرفتها. كانت على وشك إغلاق باب الشرفة عندما سمعت باب شرفة الغرفة التي تليها ينفتح. كان أندريس في الغرفة التالية لغرفتها، والشرفات مفصولة عن بعضها البعض بنتوءات من القرميد مطلية باللون الأبيض، ما يضفي على الغرف نوعاً من العزلة. ولكن كان بإمكانها أن تسمع أندريس يتنهد، وهو يجلس على أحد الكراسي الخيزرانية الموجودة على الشرفة.

هو أيضاً لم يستطع النوم. ولم تكد تصدق مبلغ ما كان لهذه الفكرة من تعزية لها، إذ تملكتها الحماسة وأخذ قلبها يدق. أمن الممكن أنه يفكر فيها؟

أمن الممكن أن يكون جسده وذهنه يمثل اضطراب جسدها وذهنها؟ أتراه مدرك مثلها ما هو بحاجة إليه لكي يلطف من هذا الشوق الذي يمتزج فيه الألم والبهجة؟.

إدراكها المفاجىء لما ذهب إليه ذهنها، أحدث هزة في كيانها. وفي تلك اللحظة أدركت صوفي أن شعورها نحو أندريس يفوق مجرد الإنجذاب الجسدي. أتراها وقعت في حبه؟ لا بأس، إنها غير واثقة بعد مما إذا كان حباً أم لا، لكن من المؤكد أن شعورها هذا مختلف تماماً عن ذلك الشعور بالارتياح والرضا والهدوء الذي كانت تحسّه نحو ماثيو. هناك شيء في أعماقها قد انجذب إليه منذ بداية تعارفهما، فابتدأت تحاربه لهذا السبب.

- آه . . . كلا . .

كانت مجرد همسات خافتة لا يمكن أن يكون قد سمعها، لكنها غطت فمها بشدة بيدها. ليس آندريس كاريديس! لا يمكن أن تكون بهذا الغباء! إنه يجسد كل ما تكرهه في الرجل، فكيف حدث هذا؟ إنه متغطرس، جبار، وعنيف. ورغم الوقت الممتع الذي أمضياه معاً في الأيام الأخيرة، لم يتملكها الشك لحظة في أن بإمكانه أن يكون قاسياً للغاية وقهاراً عند اللزوم، أو عندما يشاء. وقد سبق وأوضح أنه يريدها جسدياً، وهذا هو سبب اهتمامه بها.

ابتعدت بهدوء عن باب الشرفة بعد أن تركته موارباً، خوفاً من أن يسمع صوته إذا أغلقته. وأخذت تبحث بين أغراضها عن الدواء المسكن للألم الذي أحضرته معها، فالبكاء الذي استسلمت إليه منذ فترة، بالإضافة إلى قلة النوم، سببا لها صداعاً عند أسفل الجمجمة، ازداد سوءاً في الدقائق الأخيرة. لن تفكر في شيء بعد الآن. . أخذت حبتين من مسكن الألم مع جرعة ماء، ثم صعدت إلى سريرها جاذبة الغطاء فوقها، آملة أن لا تستسلم للبكاء مرة أخرى. في الصباح سيكون الصداع قد هدأ، إذ أن كل شيء

يبدو في أسوأ حالاته في الساعات التي تسبق الفجر.

عندما نزلت صوفي إلى الطابق السفلي في ذلك الفندق التراثي الجذاب، كان أندريس قد سبقها إلى الجلوس، وهو يقرأ الصحيفة عند مائدة لاثنين في زاوية من غرفة الطعام. كان يجلس بجانب نافذة مفتوحة تشرف على فناء الفندق الجميل المرصوف بالأحجار، الذي تقوم نافورة في وسطه. وقفت صوفي جامدة للحظة عند الباب، تنظر إليه قبل أن ينتبه إلى وجودها. كانت أشعة الشمس تلمع على شعره الحالك السواد، فيما بدا هو مقطباً أثناء القراءة، وهي عادة لاحظتها فيه مؤخراً. كان في مظهره الوسيم مغناطيسية غامضة كما في شخصيته ككل، كما أخذت تفكر بضعف. ذلك الغموض لم يكن مصدره مظهره الأنيق، ولا جسده المتناسق القوي، أو جاذبيته السمراء. لم تستطع أن تجد كلمات تعبّر، حتى لنفسها، عما شعرت أنه نداء الدهر. لكنه كان هناك! إنه الحيوية كلها، والكمال كله. . . لقد بدا خطيراً بشكل غير محدود.

تبعت النادلة إلى المائدة بحركة آلية، مرغمة نفسها على الابتسام عندما رفع أندريس بصره إليها سائلاً: «ما هذا؟ تبدين شاحبة. هل أنت متوعكة الصحة؟».

كان اهتمامه بالغاً، لكنها لم تستطع أن تمحو أثراً من تصلب في صوتها وهي تقول: «لا أبداً. أنا على ما يرام، لكنني لم أنم جيداً. لم يكن السرير مريحاً».

- قلت لك إن علينا أن نذهب إلى فندق حديث، لكنك فضلت هذا لأنه أروع مظهراً.

العتاب الرقيق الذي خاطبها به جعل دفاعها عن نفسها متعذراً، فقالت بحدة: «أنا لا أشكو. أجيب على سؤالك فقط».

نبرتها جعلت الجد يكسو وجهه، وضاقت عيناه. ولكن بعد نظرة طويلة

إلى وجهها الشاحب، قال بهدوء: «انتظرتك قبل أن أطلب الفطور. أريد كرواسون متبوعاً بفطور إنكليزي كامل. ماذا تريدين أنت؟».

نظرت صوفي إلى النادلة قائلة: «أريد كرواسون وقهوة فقط».

لقد كلمته بحدة وجفاء، بدت فظة بشكل لا يحتمل الصفح. فإذا لم تكن قد أدركت هذا بنفسها، فإن لمسة الفولاذ في الذقن المربع لا شك أنبأتها. لكن هذا، مهما كان اسمه... الغزل... العبث... التسلية... هذا يجب أن يتوقف... يجب أن ينتهي. إنها تغرق إلى الأعماق في هذا الأمر، وجيل كانت على صواب. إنه يربكها ويورطها في متاعب، بينما هي لا تدري ما إذا كان واعياً إلى ذلك. كل ما تعرفه هو أنها كلما بقيت معه كلما ازداد سقوطها إلى الأعماق. ماذا يمكن أن تكون النتيجة؟ علاقة قصيرة وبعد ذلك ندم العمر كله. لاحقها لأنه أراد جسدها، ولكنها لم تسقط بين ذراعيه كالنساء الأخريات، فبدت بذلك عصيّة عليه، وهذا ما أثار فضوله.

وقال أندريس بهدوء بالغ: «حسناً، ما الذي حدث؟».

نظرت صوفي إليه فرأت عينيه مشدودتين إلى وجهها، بينما بدت ملامحه جامدة. جذبت نفساً عميقاً قبل أن تتمكن من القول: «لا أدري ما تعنيه».

فقال بصوت منخفض ملؤه التوتر: «لا تقولي كلاماً كهذا. أنت امرأة مختلفة عن تلك التي كنتها في الأيام الأخيرة. صوفي هذه الآن هي تلك التي نظرت إليّ بكراهية في المطار، مع أنني ظننت أننا تركنا ذلك خلفنا».

- لا تكن سخيفاً. كيف يمكن أن أنظر إليك بكراهية وأنا لا أعرفك؟ وماذا يمكن أن يكون قد حدث منذ الليلة الماضية؟.

بدا صوتها يائساً حتى لنفسها. وقال أندريس برقة: «هذا ما لا أعرفه، لكنني سأكتشف ذلك».

هذا فظيع! والذنب في ذلك ذنبها هي. وقالت: «ليس هناك ما

تكتشفه. عليك فقط أن تأخذ كلمتي لذلك».

فقال ساخراً: «إذن فأنت فتاة الأيام القليلة الماضية السعيدة المتألقة العينين نفسها. هل هذا ما تقولينه؟».

نظرت صوفي إليه بتعاسة: «إنها نهاية التفرج على معالم البلاد، وقد آن الأوان... للعودة إلى الحياة الطبيعية».

- الطبيعية..!

ثم قذف بالصحيفة جانباً وأمسك بمعصمها يثبتها، فانتفضت بعنف متراجعة إلى الخلف. أما هو فقال: «وما هو توضيحك لكلمة «طبيعية» يا صوفي؟ لا شيء في هذه العلاقة هو طبيعي على حد علمي».

- أرجوك يا أندريس، أنت تؤذيني.

كانت أصابعه كالفولاذ، وما أسرع ما يلاحظ الناس. فقال وهو يصرف بأسنانه: «تلك الإعاقة الكابحة لك من الماضي، مهما كان نوعها، تمثل ثقلاً من رصاص حول عنقي. وصدقيني يا صوفي، هذا ليس طبيعياً. لقد طلبت مني أن أمنحك وقتاً وقد منحتك، لكنك تتصرفين وكأنني فرضت نفسي عليك الليلة الماضية، بدلاً من أن آخذ عدداً كبيراً من «الدوشات» الباردة وأمضي ليلتي وأنا أذرع الغرفة حتى الفجر. ما الذي تريدينه مني بحق جهنم، على كل حال؟».

فأجابت بسرعة: «لا شيء. لا أريد منك شيئاً! لم أطلب أن آتي في هذه الرحلة. إنها فكرتك أنت، هل نسيت؟».

ترك يدها وعاد يستقر في مقعده وما زالت عيناه مسمّرتين في عينيها: «لا، لم أنسَ».

قال هذا بلطف. وبعد ثوانٍ مرت بصمت مؤلم، جاءت النادلة بالقهوة والكرواسون، جاعلة، سواء مصادفة أم تعمداً، صدرها يحتك بكتف

أندريس وهي تضع الطعام أمامهما. وواقع أنه لم يلحظ ذلك كان مصدر عزاء لصوفي، بينما تصرف تلك المرأة أثبت كل ما كانت تفكر فيه.

ملأ أندريس كوبي القهوة ثم وقف وزجر قائلاً: «تباً لذلك! لن أجلس هنا بهذا الشكل عندما أريد أن أتحدث إليك. وأنا واثق من أنني لن أستطيع ذلك هنا».

وجذبها يرفعها عن الكرسي دون كثير من الرفق، ثم سار بها يدفعها خارجاً بها من غرفة الطعام، ومن ثم من الفندق إلى الشارع، ومن ثم إلى ساحة صغيرة. وبعد أن أجلسها على مقعد خشبي مستطيل، جلس بجانبها وراح يقول: «الدي شعور بأنني افتقدت شيئاً هناك، وأنا لا أحب ذلك. والآن، أوضحي».

حدقت إليه، إلى هذا الوجه الوسيم الغاضب المتجهم، وإلى هاتين الكتفين العريضتين والصدر القوي الفسيح، وفجأة تمنت لو تعود إلى صباح أمس عندما كانت الحياة ذهبية. كان هناك مذياع يثرثر في مكان ما، وطفل يبكي في أحد البيوت المحيطة بالساحة. ولكن باستثناء زوج من الحمام كان يلتقط فتات خبز جاف هنا وهناك، كان المكان خالياً. قالت صوفي بجفاء: «أريد أن أعود إلى الفندق الآن».

- مستحيل.

ونظر إليها بحقد موضحاً: «لو أنني حصلت على ما أريد، لكنا أمضينا الأيام الأربعة المنصرمة في السرير بدلاً من الدوران حول الموضوع».

بدا واضحاً أنه مصمم على أن لا يدعها تذهب إلى حال سبيلها. حاولت أن لا تفكر في السرير، فسألته: «أي موضوع؟».

- أنت تعلمين جيداً ما هو الموضوع. موضوعنا نحن. ولا تقولي، ليس هناك «نحن» لأننا لولا ذلك ما كنا هنا.

- ليس هناك . . .

قطع كلامها بعناق لا رقة فيه بل عنف ونار. شدّها إليه بما يشبه الغضب، مرغماً إياها على الالتصاق به بغطرسة، متملكة. لم يسبق له أن عانقها بهذا الشكل من قبل. ورغم أنها قاومته عدة لحظات، إلا أنها لم تتمكن من مقاومة فيض المشاعر التي انبثقت فيها. إنها تريده، وتريده أن يضمها بهذا الشكل. وكالعادة كلما أخذها بين ذراعيه، أخذ العالم يتلاشى من حولهما.

- يا للشيطان!

وكان أندريس هو الذي تركها مزمجراً: «تقولين إن (ليس هناك نحن). ما الأمر إذن؟ لماذا تتابعين محاربتي ومحاربة نفسك؟ هل تخافين مني؟».

عليها أن تجعله يفهم أن لا شيء سيحدث بينهما أبداً ما عدا الحقيقة . . . أو صورة مختصرة عنها يمكنها أن تؤدي الغرض. فقوّت نفسها وقالت: «نعم».

رفع حاجبيه لهذا الصدق غير المتوقع، وأجفل لحظة، قبل أن يرغم نفسه على الاسترخاء والقول بلطف: «لا أفهم يا صوفي، لماذا؟ ماذا فعلت لتخافي مني؟».

- الأمر ليس ما فعلته أنت . . . بل . . . بل ما أنت عليه.

مضت لحظة، أخافتها النظرة التي بدت في عينيه. ولكن بدلاً من الانفجار الذي توقعته، أصبح صوته أكثر انضباطاً وهو يقول بهدوء: «ماذا تظنينني بالضبط؟».

- أنت . . . أنت تحب النساء وهن يحببنك.

بدا أسلوبها هذا سخيفاً، فلم يبطىء هو في الاستفادة من ذلك قائلاً: «وبكلمة أخرى، أنا رجل طبيعي. أتريدين أن تخبريني بأن هذه جريمة؟».

- لا.

وابتلعت ريقها بألم، إنه يعسّر الأمور. ولكن هذا ما كانت تتوقعه. فقالت: «ما أعنيه هو أن النساء يلاحقن دوماً من هم أمثالك. إن فيك شيئاً ما...».

وساء الأمر معها أكثر مما تصورت، لكنها تابعت تقول: «هذا ليس ذنبك في الحقيقة، لكنني... لكنني لا أريد أن أكون واحدة من كثيرات. بعض النساء يمكنهن مواجهة ذلك، لكن، أنا لا أستطيع».

- دعينا نتكلم بوضوح.

كان وجهه وجسمه متصلبين غضباً. كذلك عيناه اللتين بدتا باردتين عنيفتين، حتى إنها لم تكد تميّز فيه أندريس الذي تعرفه، فقد بدا لها رجلاً غريباً. لقد رأت الآن كيف استطاع أن يستلم ويدير امبراطورية أبيه دون جهد وبكفاءة أكبر. عليه فقط أن يظهر جزءاً ضئيلاً من هذه القسوة التي بدت على وجهه، وإذا بالمعارض ينكمش. كان منيعاً للغاية ما جعلها تشعر بخوف منه حتى الموت.

- أنت تقولين إنني رجل عابث، مغازل، وزير نساء؟ وإنني ذلك «الدون جوان» الذي لا يشبع في علاقاته مع النساء، أليس كذلك؟

أجفلت قليلاً لهذا التعبير غير المهذب، وقد اتسعت عيناها من الصدمة فسارعت تقول: «لا، لا. أنا لا أقول هذا».

وطبعاً هي لم تقل ذلك... كما أخذت تقنع نفسها. وأدركت فجأة أنها لم تدرك ما كانت تقوله: «فقط أن ذلك سيكون أمراً طبيعياً بالنسبة إليك أن...».

فقاطعها بوحشية وقد أظلم وجهه وضاقت عيناه: «أن ألهو مع النساء واستمتع بهن. وأنت كنت تظنينني أفعل ذلك طوال الوقت، كما أظن؟ حتى في الأيام الأربعة الأخيرة؟ ما أجل هذا!».

كان ينظر إليها وكأنه لم يرها قط من قبل. وتملكها الذعر وهي تدرك

هول ما فعلت. ما كان لها أن تقول شيئاً قط، كما أخذت تحدث نفسها بحزن. لكن صوتاً داخلياً خافتاً أجابها بأنه كان عليها أن تفعل ذلك.. كان عليها أن تفعل. إذ لا يمكنها أن تقيم علاقة مع رجل مثل أندريس.

- إذن فأنا في نظرك أحد أولئك الضعفاء مثيري الاشمئزاز بخصالهم، الذين ينامون مع هذه وتلك، ويتخذون امرأة مختلفة لكل يوم من أيام الأسبوع.

ثم وقف وهو يحدق إلى وجهها المذعور قائلاً: «أظن من الأفضل أن نعود إلى الفندق. فقد انتهى التفرج على المعالم، كما تسمينه».

- لا تكن قاسياً بهذا الشكل يا أندريس. أرجوك أن لا تكون هكذا.

- بأي شكل؟ صدقيني يا صوفي، لو أن رجلاً قال لي نصف ما قلته أنت، لسرّني أن أعيد تكوين وجهه، كما أخبرتني باحتقارك للطبقة الثرية، وذلك منذ أول لحظة تعارفنا فيها... هذا إلى أشياء أخرى لا داعي لذكرها.

قوله هذا بهذا الازدراء لم يكن أقل من الحقيقة، واحتقاره الصاعق جعلها تقوس كتفيها وهي تقف. لم يكن لديها ما تدافع به عن نفسها على الإطلاق. وقال باشمئزاز: «حتى أسوأ المجرمين يعرف ما هي تهمته قبل الحكم عليه. لكنك جلست آمنة في برجك العاجي، وكنت أنت القاضي والمحلفين. كم مرة قلت أنا أو فعلت، سهواً، ما يضيف ثقلاً إلى كلامي؟ هل وجدت اهتمامي بك بذلك الشكل شيئاً مسلياً؟ هل كنت متشوقة إلى اللحظة التي تعيدين هذا كله إليّ قاذفة به في وجهي؟».

وتملك صوفي اليأس. لقد سارت الأمور في طريق خاطىء إلى حد رهيب، فهتفت باستماتة: «لا! لا. طبعاً لا. لم يكن الأمر بهذا الشكل. كنت أظن...».

ما الذي كانت تظنه؟ نسيت ذلك الآن. فقالت بعجز: «ظننت أن

بإمكاننا أن نكون صديقين».

- نكون صديقين؟

وارتسمت على فمه شبه ابتسامة مرّة وهو يتابع: «ليس هناك أية إمكانية تجعلنا صديقين، يا صوفي. فلا تكذبي على نفسك. فما بيننا، إما أن يكون كل شيء أو لا شيء».

واستدار مبتعداً. فلم تجد إلا أن تلحق به وهو يخرج من الساحة متجهاً نحو الفندق، ولغة جسده تنبئها بوضوح بأنه تعب منها. لقد نالت ما تريد فلِمَ لا تستطيع احتمال ذلك؟

رحلة العودة إلى هالكيديكي لم تكن صوفي لتتمناها لأسوأ أعدائها. كان أندريس يقود سيارته بعنف وسرعة، وجهه عابس ويداه تقبضان على المقود وكأنه يتمناه لو كان عنقها.

عندما مرّا من خلال البوابة إلى المزرعة، كانت شمس العصر ما تزال في كبد السماء، وعندما رأت الفيلا المألوفة أمامها، كان عليها أن تقاوم رغبة سخيفة في البكاء. كم كانت سعيدة عندما غادرت هذا المكان معه منذ أيام، وها قد ساءت الأمور الآن بحيث لا يمكن لها أن تكون أسوأ من ذلك. والذنب في ذلك ذنبها هي.

- أندريس!

عندما أوشكت السيارة على الوقوف، قالت بسرعة قبل أن تفقد أعصابها: «أنا أعلم أنك غاضب مني، ولكن هل يمكننا أن لا نظهر ذلك كي لا نكدّر الآخرين؟ إنهم لن يتفهموا الأمر».

- أنا نفسي لا أفهم.

ردّ عليها بعنف قبل أن يجذب نفساً طويلاً، ثم يقول: «بإمكاننا طبعاً أن نكون مهذبين، لكنني أظن من الأفضل أن لا أزعجك مرة أخرى أثناء بقية

زيارتك. لديّ الكثير مما ينتظر اهتمامي في العمل، وهكذا سيكون ذلك مقبولاً تماماً».

ثم ترك السيارة قبل أن تقول شيئاً آخر، ودار حولها ثم فتح لها الباب يساعدها على النزول بشكل رسمي جاف جعل قلبها ينزف دماً. وفي داخل البيت، قالت إينكا لهما إن الآخرين يقضون النهار في الخارج وسيعودون متأخرين. ثم صعدت إلى الطابق الأعلى بحقيبة صوفي.

- شكراً لك لأنك. . . لأنك أريتني تلك المعالم.

جاء صوت صوفي خافتاً، فنظر أندريس إليها بوجه صارم. ثم جمد مكانه حين رأى في عينيها لمعان دموع حاولت أن تغالبها: «يا للشيطان!».

تمتم بذلك، ثم أمسك بذراعها يقودها بخشونة إلى داخل غرفة الطعام، وأغلق الباب خلفهما، ولم تحاول صوفي الاعتراض.

- هذا جنون . . . أنت تعلمين هذا أليس كذلك؟

لم يكن صوته هادئاً أو مسترضياً، وعلى الفور توتر جوّ الغرفة، فيما تابع يقول: «أنت أهنتني ثم رحت تنظرين إليّ بتلك الطريقة. . ما هو الأمر معك؟».

- لا شيء.

طوال طريق العودة، راحت تدعو الله أن يجعله يمنحها فرصة أخرى، على الأقل لكي تشرح له ما لم تستطع شرحه من قبل. إنما الآن، عندما حانت الفرصة، إذا بكل مخاوفها على مدى الثمانية والعشرين عاماً الماضية تفيض في نفسها. إنها تريده من كل قلبها، وتلك هي المشكلة. إنها تحبه. . ظلت تقاوم تلك الفكرة أياماً، ولكن عليها أن تعترف بها الآن. إنها تحبه بطريقة مختلفة عن حبها لماثيو. لم تتصور نفسها قط تقع في حب كهذا، وهذا ما جعل سلطته عليها قوية إلى حد لا يتصوره عقل.

- لا شيء؟ كيف يمكنك أن تقولي لا شيء؟

وأطلق ضحكة خشنة، لكن صوته كان يفيض عذاباً وقنوطاً: «ما إن ألمسك حتى تذوبي بين يدي، وهذا ليس (لاشيء). أنا لا أصدق أن مثل هذا الشعور تملكك من قبل، لأنني أعلم أنني أنا أيضاً لم أشعر بمثله».

لم تشأ أن تسمع هذا، لا يمكنها أن تسمعه. تريد أن تعتقد أنها تقوم بالشيء الصواب. الشيء الوحيد الذي عليها أن تقوم به. أمسك أندريس بذراعيها وأوقفها أمامه وهو ينظر إلى وجهها بعينين ملتهبتين ثم قال: «إصغي إليّ يا صوفي. كانت هناك فتاة في حياتي ذات يوم، منذ سنوات كثيرة. وكنا على وشك الزواج، ثم اكتشفت أنها تعبث مع الآخرين. إنها القصة القديمة نفسها التي تحدث مئات المرات يومياً. ثم انتهيت من ذلك، لكنني حدثت نفسي بأنني لن أقابل فتاة أخرى أحبها كما أحببت لاريسا. ثم عرفتك، فعرفت أنني لم أكن أحبها قط بكل قدرتي على الحب».

فشحب وجهها وصاحت: «لا. لا. أنت لا تحبني».

- بل أحبك.

وهزها بخفة: «كانت لي علاقات بعد لاريسا، لكنني دوماً كنت أعرف، والنساء أيضاً، أن تلك العلاقات لن تصل إلى نتيجة. ولكن هذه المرة كان الأمر مختلفاً».

فهمست من بين شفتين شاحبتين: «أنت ظننت أنك تحب لاريسا، لكنك تقول الآن إنك لم تحبها. ستقول الكلام نفسه عني، ذات يوم. قد تقابل فتاة. . . فتاة أصغر وأجمل. كما أننا لا نعرف بعضنا البعض جيداً، على كل حال».

وأنهت قولها هذا بيأس بالغ. فقال اندريس بلطف: «لقد عرفتك منذ أول الخليقة. أدركت ذلك تلك الليلة عند بركة السباحة، وهذا ما حدث

معك أيضاً».

- لا!

حاولت أن تحرر نفسها منه، لكنه لم يتركها، فقالت: «لا أريد هذا. لا أريدك».

- بل تريدينني.

وكان صوته بصلابة الفولاذ. فقالت وقد جعل الخوف صوتها قاسياً: «لا. أنا احتقر نوعك بين الرجال».

فعاد صوته إلى خشونته: «أتحتقرينني؟ لا يمكنك أن تتجاوبي بهذا الشكل مع رجل تحتقرينه».

وجاء عناقه تحدياً وحشياً بمقدار كلماته، واستمر كذلك إلى أن توقفت عن المقاومة. ثم تقبلت يديه وعناقه بشكل أعمى. ثم غدا عناقه أكثر لهفة وأكثر نهماً، ومشاعره الملتهبة ترسل ما يماثلها من مشاعر إلى كل جزء منها. وصهرت الحرارة جسدها حتى لم تعد واثقة من هو القائد ومن هو التابع. وقال أندريس بصوت مرتجف: «أرأيت يا صوفي؟ هل رأيت كيف يحدث ذلك»؟.

لم تستطع أن تنكر الرسالة التي كان جسدها يرسلها إلى جسده، وإذا بصوته يدخلها بشكل غامض ساحر إلى عالم من الألوان والأضواء والمشاعر تحت أجفانها المغمضة. وفتحت أجفانها الثقيلة ورأسها يدور. فقال برقة: «هذا حقيقي. أنا حقيقي، أنا. . أندريس كاريديس، أنا أريدك لأنني أحبك. هل تفهمين؟».

أرادت أن تصدقه. . أرادت أن تصدقه من كل قلبها، لكنها في نهاية التحليل، لم تكن تجرؤ على ذلك. لقد رأت ما فعله بأمها حب رجل من كل قلبها وروحها وعقلها وجسدها، ولم تستطع أن تواجه ذلك النوع من الشعور المدمّر. مع ماثيو كانت تشعر بالأمان، فقد كانت متحكمة في

مشاعرها. ورغم أن الحياة معه لم تكن مثيرة قط، ولم تكن معرضة للارتفاع أو الهبوط، إلا أنها كانت حياتها هي. هي التي كانت تمسك بزمامها محتفظة باستقلالها الذاتي.

وفجأة، رأت بوضوح تام ما عليها أن تفعل. جاهدت لاكتساب الهدوء، ثم تراجعت عنه وهي تدعو الله أن يمنحها القوة لتقول كل شيء دون أن تنهار. ثم قالت بهدوء: «نعم، أفهم. وأنا أحبك أيضاً».

انتظر، مدركاً من النظر إلى وجهها ونبرة صوتها أنه، بالرغم من اعترافها، ما زال هناك شيء ما، شيء هائل، هائل...

- ولأن لديّ هذا الشعور نحوك، لا يمكنني أن أكون معك، يا أندريس.

عند ذلك تقدّم نحوها خطوة، انتبهت هي إليها على الفور، فرفعت يدها تبعده عنها وهي تقول: «أرجوك أن تصغي إليّ. سوف... سوف أحاول أن أشرح لك، وعند ذلك سترى أنه لا يمكن أن يكون ثمة مستقبل لنا معاً».

حدثته بكل شيء، مبتدئة منذ كانت طفلة في الثالثة أو الرابعة حين سألت عن أبيها، الصورة في مخزن الأشياء العتيقة، طفولتها الصعبة، تحطم القلب والمرارة اللذين قتلا في النهاية أمها... كل ذلك تدفق إلى الخارج. ثم انتهت بقولها بحزن: «منذ وقت قريب قالت جيل شيئاً اعترضت أنا عليه بعنف. قالت إنني مصابة بضرر نفسي بالغ. وقد كرهت قولها، فقد جعلني أبدو أشبه بالضحية. ومع ذلك كانت على حق... فأنا لا أستطيع أن أغيّر نفسي وكل ما سأقوله هو أنني سأجلب التعاسة إلينا، نحن الإثنين، وندمّر كل ما لدينا، حتى ولو...».

وسكتت فجأة.

- حتى ولو ماذا؟

رفعت وجهها إزاء لهجته الرقيقة وتابعت تقول: «كنت أريد أن أقول حتى ولو لم تكن كأبي، هل ترى؟ هل ترى كيف هو الأمر؟ أنا لا أصدقك يا أندريس. لا يمكنني أن أثق بك. ليتني أستطيع أن أثق بك! أحب كثيراً لو كان بإمكاني ذلك، لأنني سأبقى طوال حياتي في انتظار أن يحدث شيء يحطم حياتي. لا يمكن لأحد أن يعيش بهذا الشكل».

أدركت من العذاب السافر في عينيه الرائعتين أنه أدرك أنها تعني ما تقول. وقال بصوت خشن: «وهكذا ستهربين عائدة إلى عزلتك في إنكلترا.. هل هذا ما تهدفين إليه؟ إلى حيث تعتبرين نفسك حصينة من عاديات الزمن؟ إلى حياة ستجففك في النهاية وتقضي على كل ما يجعلك أنت نفسك؟ الخوف سيحيلك إلى شابة وحيدة وبعد ذلك إلى عجوز وحيدة، الوحدة البائسة ستكون شريك سريرك. وبعد أن عرفتني الآن سأكون هناك في رأسك، رغم طردك لي عن جسدك. لا يمكنك أن تعودي إلى حياتك التي كانت لك قبل أن تأتي إلى هنا».

- سأحاول، فأنا التي سأتألم على كل حال.

عليها أن تقوم بذلك لأجلهما، هما الإثنين، لكن ذلك سيقتلها.

- أنت لم تستوعبي الأمر بعد، أليس كذلك؟

وحدّق إليها بوجه جامد وقد امحى كل أثر للتوسل من صوته وهو يتابع: «أنت، بصفتك فرداً، انتهيت لحظة تعارفنا. عندما تتألمين سأتألم أنا الآن، فنحن في هذا الأمر معاً. ألمك هو ألمي، وكذلك بهجتك وسعادتك سيكونان بهجتي وسعادتي. ألا ترين ما فعلته يا صوفي؟ لقد أصبحت جزءاً مني، ولن تغيّري ذلك برحيلك».

- ستتعرف إلى امرأة أخرى يوماً ما.

حتى وهي تقول ذلك، أدركت كم يبدو هذا مبتذلاً مهيناً بعد الذي قاله لتوّه.

- شكراً.

وسكت. وحاولت هي أن تفكر في شيء آخر تقوله لكنها فشلت كلياً. وبقيا يحدّقان الواحد في الآخر لحظة قبل أن يقول: «لقد اتخذت قرارك».

وكان ذلك تقرير أمر واقع وليس سؤالاً، ومع ذلك فقد أومأت بالإيجاب. وأومأ هو أيضاً: «الوداع يا صوفي».

- الوداع.

شعرت بالغثيان من الذعر والألم. لكنها في أعماقها، شعرت أن البديل ما زال متعذراً ولا يمكن التفكير فيه، وهو أن تمدّ يديها إليه، وتقول له إنها ستحبه وتثق به كما يريد.

ألقى عليها نظرة أخيرة متفحصة، ثم سار نحو الباب ففتحه ثم مرّ إلى الردهة دون أن ينظر إلى الخلف. سمعت صوفي الباب الخارجي ينفتح ثم ينغلق، ثم هدير سيارته على طريق المنزل.

لقد رحل. تركها لأنها طلبت منه أن يتركها، ولن يحاول مرة أخرى بعد كل ما جرى بينهما من حديث.

لقد نالت ما أرادته ولن يكون بإمكان المستقبل أن يصبح أكثر وحشة مما هو الآن.

٩ - جنون الحب

بقية الأسبوع كانت أيام عذاب، وأخيراً أطل صباح رحلة العودة إلى الوطن.

كانت صوفي قد أخبرت جيل بكل ما حدث بينها وبين أندريس، وذلك عندما عادت أختها إلى الفيلا في يوم فراقهما هي وأندريس نفسه. وكانت جيل من النبل بحيث لم تعلق بكلام من نوع ألم أقل لك هذا وهذا... ولكن لديميترا وإيفانجيلوس قالت صوفي إنها استمتعت برحلتها، وبرؤية المعالم، وإن لدى أندريس عملاً كثيراً عليه أن ينجزه. لم تعرف ما إذا كانا قد صدقاها أم لا، لكنها لم تهتم في الواقع. فقد كانت من التعاسة بحيث لم بعد أحد يهمها سوى أندريس.

من تعليقات قيلت حول مائدة العشاء، في اليوم التالي لعودة صوفي وأندريس من الرحلة، علمت صوفي من إيفانجيلوس أن أندريس سافر إلى أميركا ذلك الصباح في عمل مستعجل ولن يعود قبل أسبوعين. وتحيّرت للصدمة التي شعرت بها لهذا الخبر. فبدلاً من أن يخفف ذلك من بعض توترها، جعلها تغرق في بئر من اليأس لا قرار لها. قاومت شعورها بالتعاسة بإرغام نفسها على الظهور بشكل طبيعي... فراحت تلعب مع ميشيل، وتثرثر مع ديميترا، وتحوّل الحديث عن أندريس في كل مرة تنفرد فيها بأختها، فتحاول هذه الإتيان على ذكره. كانت تعلم أن نية جيل طيبة، إذ كانت تخاف من أن تختزن أختها كل آلامها وعذابها. لكن صوفي لم تعد

تستطيع مناقشة الوضع أكثر من استطاعتها استنبات أجنحة لها تطير بها.

ولسخرية القدر أن صباح سفرهم كان ممطراً، وهي المرة الأولى التي يسقط فيها المطر منذ وصولهم إلى اليونان. وشعرت صوفي بالذنب نوعاً ما لأن سقوط المطر هذا لاقى منها ترحيباً، إذ شعرت أن السحب الرمادية تناسب حالتها النفسية أكثر من السماء الصافية الزرقاء والشمس المشرقة اللتين استمتعوا بهما أثناء الأسبوعين الماضيين.

هذه المرة اصطحبهم إيفانجيلوس إلى المطار، في سيارة المرسيدس البالغة الفخامة ما أرسل البهجة في نفس ميشيل. جلس الصبي في المقعد الأمامي مع جده، وأخذ يثرثر طوال الطريق إلى المطار، ما وفر على صوفي المشاركة في أي حديث. وقد اختارت ديميترا توديعهم في البيت بدلاً من المطار، وتساقطت دموعها عندما ابتعدت بهم السيارة. وعلى كل حال، حيث أن جيل وعدتها بالحضور في زيارة أخرى في عيد الميلاد، لم تعد دموعها حزينة تماماً.

أوقف إيفانجيلوس السيارة ووضع حقائبهم على العربة، ولكن عندما دخلوا المطار، وقف فجأة جامداً مكانه، فكاد الثلاثة السائرون خلفه يصطدمون بظهره.

- ما الذي . . . ؟

سمعوه يتمتم قبل أن يستدير إليهم قائلاً: «أنظروا هناك، أليس ذلك هو أندريس؟».

نظرت صوفي. إنه هو حقاً! وجعلها نوع غريزي بدائي من الخوف تحاول أن تهرب، لكنها لم تكن واثقة إن كان هربها سيكون منه أو إليه. وبدلاً من ذلك وقفت مكانها جامدة تماماً، وهي تنظر إليه قادماً نحوهم. وقد بدا بارداً هادئاً إلى حد مخيف. وبادره أبوه متعجباً: «ظننتك في أميركا».

فأجاب وعيناه على وجه صوفي الشاحب: «هذه مهارة مني».

فسأله أبوه بارتباك: «متى عدت؟ وطبعاً لم تكتمل المفاوضات بعد؟».

- وصلت منذ نصف ساعة، وسأعود بعد ساعتين. أنت على حق، إذ لم تكتمل المفاوضات بعد، لكن لدي مفاوضات خاصة بي هنا، وهي أكثر أهمية بكثير. أنا وصوفي ستتمشى قليلاً، وهكذا يمكنكم تناول القهوة في الداخل، وسأراكم في ما بعد.

- ستغادر الطائرة بعد ساعتين، وعلى صوفي أن تحجز . . .

وسرعان ما وجد إيفانجيلوس نفسه يتحدث إلى الفراغ، بعد أن أمسك أندريس بذراع صوفي وجرّها بعيداً. وأخيراً وجدت صوفي صوتها، لكنه لم يخرج عن همس مرتجف: «ما . . . الذي تفعله؟».

فأجاب بجفاء دون أن ينظر إليها: «أغير جداول أعمال، ألغي اجتماعات، وأدور بالطائرة عبر نصف العالم، ملاحقاً امرأة جعلتني مجنوناً منذ اليوم الأول».

كان يبدو مثالاً لملوك المال ببذلته الرمادية البالغة الأناقة وقميصه الأبيض المنشى، فخطف منها الأنفاس. ولم تكن واعية إلى أنها كانت تبكي، حين وصلا إلى أشعة الشمس الباهتة في الخارج. كان المطر قد توقف، وابتدأت أشعة الشمس تتسلل من خلال السحب. وإذا بأندريس يقول برقة: «لا تبكي. أردت فقط أن أراك قبل أن ترحلي، وهذا كل شيء. هناك أشياء أريد أن أوضحها، أشياء من الضروري أن تفهميها».

وكان أثناء كلامه يمسح دموعها بحذر بمنديل أخرجه من جيبه، فسألته: «ما هي تلك الأشياء؟».

كانا قد انعطفا لتوّهما حول زاوية المبنى إلى منطقة هادئة، هي موقف سيارات احتياطي. فوقف واستدار نحوها يحيط وجهها بكفيه ثم يعانقها عناقاً حاراً . . . كان عميقاً وعذباً للغاية. وفكرت صوفي أن الجنة والنار

هما أن تكون بين ذراعيه مرة أخرى. الجنة لأن ليس ثمة مكان آخر تفضل أن تكون فيه، والنار لأنها تعلم أن هذا لن يدوم. وسألته من جديد: «ما هي تلك الأشياء؟».

عندما رفع رأسه رأت عينيه فضيتين صافيتين للغاية. وأجابها قائلاً: «أولاً، أنني أنوي متابعة القيام بهذا، فإنكلترا ليست بعيدة، وعجائب التكنولوجيا الحديثة تسمح لي بأن أكون معك في أكثر العطلات الأسبوعية».

لم يكن هذا ما توقعته صوفي، فحدقت إليه فاتحة فاها لحظة قبل أن تطبقه بحدة، ثم وجدت صوتها وقالت بتبلد: «لا يمكنك ذلك».

- بل يمكنني. وهذا ما سأفعله.

بدا صوته حازماً تماماً. دفعته بصدره الصلب فشعرت بدقات قلبه المنتظمة، لكنه رفض أن يتركها، حتى عندما قالت: «أندريس، هذا جنون، لقد قلت لك كل ما هناك ليقال...».

فقال: «بالضبط».

ثم مدّ يده يلامس شفتيها بأصبعه، فارتجفت لملامسته هذه قبل أن تتمكن من إخفاء ضعفها، بينما كان يقول: «أنت قلت، وأنا أصغيت، والآن جاء دوري. أنا لا أنوي أن أسمح لك بتدمير حياتنا بسبب خيال من الماضي لا علاقة له بي. أنا أعلم أن ذلك قد يأخذ وقتاً لكي يقنعك، ولكن لدينا وقت... كثير من الوقت».

- لا يمكنني أن أعود إلى كل ذلك مرة أخرى. لا أريد أن أتحدث...

- أنا الذي أتحدث وأنت التي تصغين. لقد فكرت كثيراً منذ افتراقنا، فرأيت أن هذا حدث لك بسرعة أكثر مما ينبغي، بالنسبة إلى طفولتك وكل ما حفلت به من عقد، وما أحضرته معك إلى حياة الراشدين. ولكن هذا يحدث أحياناً، لقد أدرك أبي، خلال دقائق حين عرف أمي، أنها المرأة التي

يريد أن يمضي معها بقية حياته، وما كان لشيء أن يصرفه عن الزواج بها. وأنا اكتشفت أنني ابن أبي في أكثر من ناحية. ولا أنوي التخلي عنك، يا صوفي. وهكذا، واجهي الأمر.

هزت صوفي رأسها والذعر يتملكها لشعورها بأن قوة أسمى منها عادت فجرفتها، وقالت: «والداك يختلفان عنا بوضعهما حينذاك، فلا يمكنك تشبيهه بوضعنا نحن».

- ظننتك لا تعترفين بكلمة (نحن).

وعندما أرادت أن تتكلم قال بلطف: «لن أسلبك حقك في الخيار، عندما تصبحين جاهزة لأجلي يا صوفي. ليس بالقوة الجسدية، أو العقلية. أنت تحبينني، ولكن عليك الآن أن تعرفيني، وأنا أفهم هذا. يمكنني أن أكون بطيئاً بقدر ما تشائين. أرجوك أن تقبلي هذا فلا تدعي وقتنا يضيع سدى... أنا لن أتوقف عن ذلك... ليس الآن.. ولا بعد خمس أو عشر أو خمسة عشر عاماً، ستعودين أن تثقي بي بقدر ما تحبينني. أريدك زوجتي وأم أولادي. أريد أن نكبر في السن معاً ونتنظر إلى أحفادنا وهم يلعبون في أشعة الشمس، ولا أريد غير ذلك».

كانت دفقة الحب التي شعرت بها عنيفة للغاية. وكان عليها أن تجذب نفساً عميقاً يثبتها قبل أن تقول: وإذا لم يحدث هذا أبداً، ماذا سيحصل؟ ماذا إذا لم أستطع أن أنسى الماضي وأن أتعلم الثقة بك؟ ماذا سيحدث عند ذاك؟».

- ليس عليك أن تنسي الماضي.

وأخذ يلامس وجهها وخديها وعنقها بلطف: «عليك فقط أن تتغلبي عليه، ويمكننا أن نفعل ذلك معاً. هذا هو درسك الأول في الثقة بحبي؛ أن تؤمني بي عندما لا تستطيعين الإيمان بنفسك. وسوف تنتظرك السعادة بعد ذلك ولكن عليك أن تحاولي الوصول إليها».

- ستتعب من انتظاري.

- أبداً.

وابتسم لها تلك الابتسامة التي تذيبها. فقالت بشيء من القنوط: «هناك مئات من النساء الجميلات.. هناك نساء دون إعاقة مثلي. نساء يقعن بين ذراعيك لمجرد فرقعة من إصبعيك».

فأحاط وجهها براحتيه وعيناه في عينيها قائلاً: «لا، هناك أنت فقط. لكنني أقدّر لك إيمانك ببراعتي».

فابتسمت بالرغم عنها: «هذا ليس مضحكاً، يا أندريس».

فقال وقد بدا الجدّ في عينيه: «لا، ليس مضحكاً. فقد اكتشفت ذلك بنفسي. أما أنت فعلى الرغم من أنك تبدين هشة، إلا أنك ذات إرادة جبارة، لم أتكهن بها عند أول معرفتي بك. يومها ظننت أن الأمر سيكون سهلاً. عليّ فقط أن آخذك للعشاء فتسقطين بين ذراعي وينتهي الأمر».

- لكنني وقعت في غرامك بجنون.

- وذلك كان بداية كفاحي للفوز بك.

رأى عينيها تظلمان وهو يقول ذلك، وشعر بجسدها الرشيق ينسحب قليلاً من بين ذراعيه، فقال بسرعة: «ما هذا؟ ماذا قلت الآن؟».

حوّلت عينيها عن عينيه والتوتر بادٍ في وجهها: «لا شيء».

فقال عابساً: «لا، هذا غير صحيح. من الآن فصاعداً أريدك أن تتكلمي من قلبك، سواء أعجبني ذلك أم لا. وأنا سأفعل الشيء نفسه. لا أسرار، لا ادعاء، لا مراوغة أو تجنب الجواب عن شيء محرج».

شعرت بأن ذهنها تعمه الفوضى والشعور بالعجز. سوف يتملكه الضجر منها. نعم، هذا ما سيحصل. ثم، عندما رأت أنه غير مستعد للإذعان، تمتمت: «دوماً كنت أظن أن سبب زواج أبي من أمي هو أنها

كانت تمثل له نوعاً من التحدي. لقد اعتاد أن تعبده النساء، وكانت هي تعبده فعلاً. لكنها لم تقم علاقة معه، وأجلت ذلك لما بعد الزواج. وهكذا عرف فتاة لم تسقط بين ذراعيه كالأخريات، وهذا كان سبب رغبته فيها. وعندما تزوجا وحملت بنا، أنا وجيل...».

- صوفي، لا أنكر أن هناك رجالاً كأبيك. إلا أنني لست واحداً منهم. لكن الكلمات رخيصة، والكلمات لن تزوّدك بالمرهم الذي تحتاجينه على الجرح الذي ما زال مفتوحاً. لو أنك كنت حاملاً بطفلي...

وسكت جزءاً من الثانية وهي تشعر بيديه تشتدان على خصرها: «كنت سأصبح أكثر الرجال في العالم زهواً. كنت سألفّك بالقطن وأبقى معك كل لحظة لكي أحميك مع طفلنا. هذا هو التجاوب الطبيعي بالنسبة لرجل طبيعي. أما أبوك...».

وسكت فجأة وهز رأسه وهو يشتم بلغته بصوت خافت.

- لكننا لم نتعارف إلا منذ أسبوعين، فكيف نعرف أننا متلائمان؟

أجابت عيناه على هذا السؤال فاحمر وجهها. وانحنى يعانقها طويلاً مرة أخرى. وعندما استعادت أنفاسها، قالت: «لا بأس. إننا متلائمان، ولكن...».

- «ولكن» هذه سأتصرف معها وإلا، فلن أكون أندريس كاريديس.

أخافتها ثقته هذه بنفسه، فقالت: «عليّ أن أذهب».

فقال بنعومة وقد فهم على الفور: «تلك ليست مشكلة، لأنني سأراك في العطلة الأسبوعية. سأراك في كل عطلة أسبوعية. اتفقنا؟».

- هذا جنون يا أندريس.

كان صوتها يرتجف قليلاً، بالرغم من جهودها للظهور بذلك المظهر البارد الهادىء الذي حماها في الماضي. وكرّرت: «هذا كله جنون».

- الحب هو جنون، يا حبيبتي.

كانت هذه المرة هي الثانية التي يلاطفها فيها، مستخدماً كلمة حبيبتي. نبرة صوته جعلت قلبها يحلّق عالياً إلا أنها قالت: «نحن فقط نطيل عمر العذاب. لا أستطيع أن أفعل هذا، أندريس. فأنا لست تلك المرأة القوية التي تظنها. ليس لديّ الطاقة التي تجعلني أستمر في كشف الجرح كلما ابتدأ يلتئم، وهذا ما تطلبه مني. ولا يمكنني أن أدفن رأسي في الرمال عندما تفشل خطتنا ونفسد كل شيء».

- خطتنا لن تفشل. ثم إنك لست بحاجة إلى الطاقة، بل إلى الشجاعة فقط وهذه موفورة لديك.

حدقت إليه طويلاً. كان يتحدث بتصميم رائع. ولأول مرة منذ وضعت عينيها على أندريس كاريديس، شعرت أن حس التوجس من شرّ مرتقب قد خفّ لديها نوعاً ما، فقالت بضعف: «أنت يوناني تماماً».

فقال بابتسامة مدمّرة: «لكن أولادنا سيكون لديهم دم إنكليزي أيضاً، وهذا حسن، أليس كذلك؟ والآن عليك أن تطمئني إلى رحلتك بالطائرة، وهكذا سنعود إلى الآخرين، الذين سيكونون لبقين حذرين للغاية، طبعاً».

وابتسم مرة أخرى. لكنها لم تستطع أن تبتسم، بل سألته: «ماذا ستقول لهم؟».

- الحقيقة، والحقيقة فقط.

- وما هي؟

نظر إليها ينهل من جمالها الأشقر الهش الرقيق، وقال بهدوء: «أننا سوف نلتقي دوماً، وأنني أحبك من كل قلبي وأريدك زوجة لي مهما طال الأمر. وأن اللحظة التي أمضيتها بعيداً عنك هي بمئة عام... وأشياء كهذه».

عندما عادا إلى الآخرين، كانت قهوتهما قد بردت، ولكن لم يشر إلى ذلك أحد. تقبل الأب خبر علاقتهما بسهولة تامة، ورغم أن عيني جيل اتسعتا قليلاً، إلا أنها عادت بسرعة إلى طبيعتها. أمّا ميشيل فقال بعدم لباقة الأطفال: «ماذا يعني أنكما تتقابلان؟ هل ستتزوجان؟».

فقال أندريس بصوت منخفض: «نعم، ذات يوم».

- متى؟

كان ميشيل فارغ الصبر. لكن، في اللحظة التالية، أنزلته أمه عن كرسيه وجرّته، رغم احتجاجه، لكي يغسل يديه.

بعد عشرة أشهر تزوج أندريس وصوفي في يوم يوناني مشمس من شهر نيسان. أراد كلاهما أن يكون العرس في هالكيديكي. ازدحمت الكنيسة البيضاء الصغيرة بالأصدقاء الإنكليز والأقارب الذين أحضرهم أندريس بالطائرة من إنكلترا مع كل أصدقائه اليونانيين. وكان ميشيل شاهد عرس أندريس، وهو شرف جعل الصبي الصغير يتصرف بتصلّب وانضباط رقيب أول في الجيش. وكانت جيل وصيفة شرف لصوفي، وقد بدت جميلة في ثوبها الليموني. أما كريستوز فجاء مع شقيقة صوفي وابن أختها، وكان سنداً قوياً لجيل منذ موت ثيودور، وبدا واضحاً لكل إنسان له عينان تريان أن الإثنين ابتدآ يفكران كثيراً ببعضهما البعض.

لكن صوفي لم تكن تفكر بغرام أختها الذي بدأ يزدهر. ذلك أنها لم تكن ترى سوى خطيبها وهي تسير ببطء في ممّر الكنيسة متكئة على ذراع إيفانجيلوس. بدا أندريس وسيماً بشكل مذهل وهو ينتظرها، بينما يقف ميشيل بجانبه مزهواً بنفسه. وابتدأ همس الجموع التي التفتت تنظر إلى العروس، وتتحدث عن مبلغ جمالها في ثوب الزفاف العاجي اللون، ونقابها المصنوع من الدانتيل والذي يشبه جناحي فراشة.

أمضى أندريس من الوقت في إنكلترا قدر ما أمضى في اليونان تقريباً قبل

www.elromansia.com

أن يستطيع إقناع صوفي بأن تتزوجه. وقد أبلغته موافقتها في عيد الميلاد حيث أمضته هي وأختها وميشيل في اليونان مع إيفانجيلوس وديميترا. لكنها أدركت منذ شهر حزيران بعد أيام من عودتها إلى إنكلترا أنها لا تستطيع العيش من دونه. كان أندريس على صواب، فقد سكن حبه في قلبها وعقلها معاً. لكن الوقت الذي مرّ حتى عيد الميلاد، كان ضرورياً. ذلك أن المخاوف التي طال دفنها والتي أخرجها أندريس إلى السطح تحتاج إلى وقت لكي يتم استيعابها. وكان ذلك صعباً... صعباً للغاية! ولم يكن بإمكان صوفي أن تجتازها لولا أندريس. لكنهما، معاً، استطاعا أن يواجها شياطين الخوف والألم والمرارة والاحتقار والشكوك على الأخص، وجاء التحرر من واحد بعد الآخر حتى تم الخلاص النهائي.

- يا حبيبتي، يا حبيبتي الغالية الرائعة الجمال.

عندما وصلت إلى جانب أندريس، همس لها ذلك في أذنها. وعندما رفعت رأسها تبتسم له، نظر إليها والشغف بادٍ في عينيه. وأنبأته ابتسامتها عن سعادتها وثقتها بحبه. نطقت بعهود الزواج بصوت رقيق واضح جعلت الدموع تتدفق من عيني جيل، وجعلت ديميترا تخرج منديلها. وكان صوت أندريس يرن زهواً ما جعل إيفانجيلوس يقول في ما بعد إن صوته كان مسموعاً على بعد عشرة أميال.

ثم انتهت طقوس الزواج وخرجا من الكنيسة المملوءة بالأزهار، إلى الخارج حيث تعالى الهتاف ونثرت عليها حبوب الأرز وقصاصات الورق الملوّن، ليعودا إلى منزل إيفانجيلوس حيث نُصبت خيمة ضخمة في الفناء الفسيح أمام المنزل مُدّت وليمة ملوكية في داخلها قام عليها جيش من متعهدي الأطعمة. كان يوماً رائعاً... سحرياً، واستمرت الحفلة طويلاً بعد حلول الظلام وخفق النجوم في السماء السوداء، وكانت فرقة العزف الصغيرة تعزف حتى ساعات الصباح الأولى. لم يكن ثمة من يريد الذهاب

إلى بيته!

لكن أندريس كان قد تسلل هارباً مع عروسه قبل ذلك بوقت طويل. حيث أمضيا ليلة الزفاف في بيته قبل الذهاب إلى الجزر الكاريبية في رحلة شهر العسل، في اليوم التالي. وعندما حمل أندريس عروسه يتخطى بها العتبة، وجدا أن أليثيا مديرة منزله قد نثرت الورود على الأرض تستقبلها. والعطر الرقيق يملأ أجواء المنزل، وعلى الفور، جذبته صوفي إلى الحديقة حيث الظلال الرقيقة تتراقص في موطن الجن تحت ضوء القمر.

وعندما انحدرا إلى الشاطىء كان الجوّ ما يزال دافئاً. بينما شذا الأزهار يعطر الجوّ. كان الضوء فضياً، والبدر الساحر يوحي بالهمس، بينما البحر يتنهد برفق وهو يلامس الرمال البيضاء اللامعة. كل شيء كان نظيفاً غسلته الأمواج.

- ظننت أننا لن نصبح وحدنا قط.

جاء صوته عميقاً، فارتجفت صوفي مترقبة. كانت قد خلعت حذاء عرسها في المنزل، كما خلعت نقابها والتاج الرقيق الذهبي والبلوري عن رأسها، فبدت الآن جزءاً من الليل، بينما جعل ضوء القمر شعرها يبدو فضياً. تمتم أندريس وهو يأخذها بين ذراعيه: «أنت بالغة الجمال والرقة، أخشى أن تنكسري إذا ضممتك إليّ بشدة».

فقالت بحزم: «لا، لن أنكسر. أريدك أن تعانقني هنا، تحت السماء والنجوم. وبعد ذلك نسبح في البحر».

ثم ابتسمت له. فسألها مداعباً وعيناه في عينيها: «أراك تحررت حقاً من كل ذلك الكبت النفسي؟».

فحدقت إليه بعينين واسعتين وقالت بجد: «آه، نعم. هذه بداية جديدة. حياتي الحقيقية ابتدأت الآن».

فضمها إلى صدره من جديد ولم تشعر بالخجل بل بالحب المدمّر وهي

ترى المشاعر المحمومة على وجهه. أمسك بوجهها وراح يوزع عليه قبلات صغيرة محرقة.

كانت خفقات قلبه تدق بعنف فوق قلبها فشدّها إليه وأخذ يلامس شعرها بأصابع محبة هامساً بكلمات الحب. كان ذلك كل ما كانت تتمناه.

وتمتم بعد فترة قصيرة: «كل ما يهمني هو أنت. أنت تعرفين هذا، أليس كذلك؟ أنت كل ما أحتاجه، وكل ما سأحتاجه في حياتي. لن تلمس قلبي امرأة أخرى. سأحبك إلى الأبد».

- أعلم هذا.

قالت ذلك برقة فائقة. ثم أخذت تلامسه بأصابع جائعة: «أعلم هذا، يا حبيبي».

لقد علمت هذا، أخيراً.

www.romancia.com